

رسائل في العقيدة (٦)

الإيمان بالبضياء والقدر

محمد بن إبراهيم الحمد

٢٤
٤٣ ح
الحمد، محمد بن إبراهيم .
الإيمان بالقضاء والقدر / بقلم محمد بن إبراهيم الحمد . - ط ١ . -
الرياض: دار ابن خزيمة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
١٥٢ ص : ١٧ × ٢٤ سم .
ردمك : ٥ - ٤٢ - ٧٤٧ - ٩٦٦٠
١ - القضاء والقدر . أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٦٥٤ / ١٤
ردمك : ٥ - ٤٢ - ٧٤٧ - ٩٦٦٠

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ

دار ابن خزيمة
للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٧٦٩٩٣٢



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - تسليماً كثيراً، أما بعد .

فهذه مباحث في باب القضاء والقدر، ذلك الباب العظيم، الذي لا شك في أنه من أعظم أبواب العقيدة وأهمها؛ فهو أحد أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل - عليه السلام - ولا يؤمن إنسان - على الحقيقة - حتى يؤمن به، فالإيمان به تمام التوحيد، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : «القدر نظام التوحيد، فمن وحّد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحّد الله وكذب بالقدر نقض توحيده»^(١).

«والقدر هو قدرة الله، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله -»^(٢) فالذي يكذب به مكذب لقدرة الله - عز وجل - ومما يدل على أهميته - ما يترتب على الإيمان به من عظيم الثمرات على الأفراد والمجتمعات في الدنيا وفي

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١٣/٣، وانظر: الشريعة للأجري، ص ٢١٥ .

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد، ١/١٣٥، وانظر: مجموع الفتاوى ٨/٣٠٨، وطريق المهجرتين لابن القيم ص ١٧٠ .

الآخرة، وما يدل على أهميته أن كتب العقيدة اهتمت به أيما اهتمام، وأطالت في ذكره، والحديث عنه كالإبانة لابن بطة، والشريعة للآجري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني، وغيرها.

ففهم هذا الباب على الوجه الصحيح والإمام به - ولو على سبيل الإجمال - من الأهمية بمكان؛ ذلك لأن أكثر الخلق من المعترضين على قضاء الله وقدره الكوني والشرعي، وقل من يسلم من ذلك.

والإيمان بالقدر أمر معلوم بالفطرة، والعرب في جاهليتها وإسلامها لم تكن تنكر القدر، كما صرح بذلك أحد أئمة اللغة وهو أحمد بن يحيى بن ثعلب بقوله: «ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية والإسلام»^(١). وهذا مبثوث في ثنایا أشعارهم كما سيمر معنا قريباً، فهم يثبتون القدر، وإن كان هذا الإثبات قد يشوبه بعض التخبط والجهل أحياناً، فنجد زهير بن أبي سلمى مثلاً يقول:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يُكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم^(٢)

ثم نراه يقول:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تته ومن تخطيء يعمر فيهرم^(٣)
فهو لا ينكر القدر، وإنما يرى أن الأقدار كالناقة العشواء - ضعيفة

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، ٧٠٤/٤ - ٧٠٥.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ٢٥.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ٣٢.

البصر - فمن أصابته .. مات، ومن أخطأته - عاش .

وعندما بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بينَ هذا الأمر - كغيره من أبواب العقيدة - غاية البيان وتلقاه الصحابة عنه، فكانوا - رضوان الله عليهم - أعظم الناس فهماً لحقيقة الإيمان بالقدر، فأثر ذلك فيهم أيماً تأثير، فكانوا أشجع الناس، وأكرمهم، وأتقاهم، ثم دبَّ في هذه الأمة داء الأمم، فركبت سنن من كان قبلها، فدخلت الفلسفات اليونانية والهندية إلى بلاد المسلمين، وظهرت بدعة القدورية في البصرة ودمشق، فوقع أول شرك في الأمة وهو نفي القدر، فتصدى علماء السنة لتلك البدعة وبيّنوا عوارها، وهتكوا سجنها، ودحضوا باطلها، وأظهروا الحق ونشروه .

ومما لا شك فيه أن باب القدر - أعوص أبواب العقيدة ، فلقد حارَ النظر والعقلاء - قديماً وحديثاً - في شأنه، وفي فهم حقيقته، فلم يصلوا إلى اليقين والصواب؛ ذلك لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانه، فحاروا وحيرُوا، وتعبوا وأتعبوا .

وقد وَفَّقَ الله - سبحانه وتعالى - أهل السنة والجماعة لفهم هذا الباب، وذلك لاتباعهم ما جاء في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح؛ إذ لا يمكن لأحد أن يفهم هذا الباب على وجه التفصيل فهماً صحيحاً - إلا كما فهمه أهل السنة والجماعة - سلف هذه الأمة الصالح^(١) .

ولعل من أبرز أسباب انحطاط المسلمين وتأخرهم في العصور المتأخرة انحرافهم في العقيدة عموماً وفي باب القدر على وجه الخصوص، وذلك

(١) انظر: مقدمة شفاء العليل لابن القيم، ص ٣ إلى ص ٨ .

عندما اتخذ كثير منهم من الإيمان بالقدر مسوغاً واهياً لعجزهم وانهارهم، متناسين أن أقدار الله إنما تجري وفق سننه الثابتة، وقد صور ذلك أحد المستشرقين الألمان وهو يؤرخ لحال المسلمين في عصورهم المتأخرة قائلاً: «طبيعة المسلم التسليم لإرادة الله، والرضا بقضائه وقدره، والخضوع بكل ما يملك للواحد القهار، وكان لهذه الطاعة أثران مختلفان: ففي العصر الإسلامي الأول لعبت دوراً كبيراً في الحروب، إذ حققت نصراً متواصلاً؛ لأنها دفعت في الجندي روح الفداء، وفي العصور المتأخرة كانت سبباً في الجمود الذي خيم على العالم الإسلامي، فقذف به إلى الانحدار وعزله وطواه عن تيارات الأحداث العالمية»^(١).

فلعل الأمة الإسلامية أن تفيق من رقدتها، وتتولى قوامة البشرية، وتأخذ مكانها اللائق بها، وذلك بعودتها إلى عقيدتها الصافية النقية.

وإن مما دفعني للكتابة في هذا الباب - بالرغم من قلة بضاعتي، وضعف تجربتي - ما أراه من كثرة الإيرادات والشبهات حوله، وتوالي الأسئلة عنه، وكثرة التخبط والخوض فيه بغير علم.

لذا استخرت الله - عز وجل - في الكتابة في هذا الباب فجمعت ما تيسر من متناثره، وحرصت على إيضاح ما دق من مسائله، مستنياً بذلك بأضواء الكتاب والسنة، مستعيناً بفهم سلف هذه الأمة، رغبة مني في تجلية هذا الأمر وبيان الحق في باب القضاء والقدر.

(١) العلمانية للشيخ سفر الحوالي، (٥١٩) نقلاً عن باول شمتز، الإسلام قوة الغد العالمية، ٧٨، وانظر: منهج القرآن في القضاء والقدر لمحسن غريب، ٤٢ - ٤٣.

فلعل فيما يأتي من صفحات إيضاحاً لدقيق مسأله، وتبياناً لعويص مباحته، فما كان في ذلك من حق - فهو محض فضل الله، وما كان فيه من زلل أو خطل - فمن نفسي والشيطان.

وقبل الدخول في ثنايا وتفاصيل هذا البحث - أئين المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث؛ حيث جاء على مقدمة وخمسة فصول، وخاتمة للبحث، وذلك كمايلي:

الفصل الأول: وتحت أربعة مباحث.

المبحث الأول: ويتضمن الحديث عن تعريف كل من القدر والقضاء، مع ذكر العلاقة بينهما.

المبحث الثاني: وفيه مناقشة لمسألة أثرت قديماً وتثار حديثاً، مفادها أنه لا ينبغي الحديث عن القدر مطلقاً بحجة أن هذا الباب زلت به أقدام وضلت به أفهام. وخلاصة القول في هذه المسألة: أن هذا الكلام ليس صحيحاً على الإطلاق، فإن كان الحديث عن القدر مبنياً على علم، ويراد به الوصول للحق فلا يمنع الحديث فيه، بل قد يجب، وإن كان على غير علم، ويقصد بالحديث عنه التنازع فيه والاختلاف فلا يجوز.

المبحث الثالث: وهو عبارة عن ذكر بعض الثمرات التي تحصل بالإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الرابع: ويحتوي على ذكر الأدلة على الإيمان بالقدر من الكتاب والسنة، والإجماع والفطرة، والعقل، والحس.

الفصل الثاني: وقد تضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: وفيه عرض مجمل لاعتقاد أهل السنة والجماعة في باب القضاء والقدر.

المبحث الثاني: وقد تضمن الحديث عن مراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

المبحث الثالث: وتم الحديث فيه عن مسألة خلق أفعال العباد، وبيان أنها مخلوقة لله - عز وجل - ولا يخرجها شيء من عموم خلقه - تعالى - وإنما أفردت في هذا المبحث لوقوع اللبس فيهما.

المبحث الرابع: وفيه الحديث عن ذكر أقسام التقدير الخمسة: التقدير العام، والتقدير البشري، والتقدير العمري، والتقدير السنوي، والتقدير اليومي.

المبحث الخامس: وقد تضمن ما يجب على العبد في باب القضاء والقدر.

الفصل الثالث: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وفيه أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية.

المبحث الثاني: وفيه بيان أن فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل هو من تمامه.

المبحث الثالث: وفيه الحديث عن مسألة الاحتجاج بالقدر، متى يسوغ ومتى لا يسوغ؟ وبيان أن الاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب ولا يسوغ عند المعائب.

المبحث الرابع: وتم الحديث فيه عن الإرادة الربانية بنوعيهما: القدري الكوني، والشرعي الديني مع ذكر الفروق بينهما، وذكر نماذج لأمر كونية قدرية، وشرعية دينية.

الفصل الرابع: وتحتة خمسة مباحث: تتضمن خمسة إشكالات ودفعها.

المبحث الأول: الإشكال الأول: هل ينسب الشر إلى الله - تعالى - ؟ حيث تم الحديث فيه عن هذه المسألة وبيان أن الشر لا ينسب إلى الله - عز وجل - .

المبحث الثاني: وهو عبارة عن دفع الإشكال الثاني الذي يقول: كيف يريد الله أمراً ولا يحبه؟ وتم الجواب فيه على هذا الإشكال ودفعه، وأنه لا تعارض بين إرادة الله للشيء مع بغضه له؛ لما له - عز وجل - من الحكمة البالغة، مع ذكر مثالين لذلك، وهما خلق إبليس وخلق المصائب والآلام. **المبحث الثالث:** هل يجب الرضا بكل ما قدره الله - عز وجل - ؟ وفيه الجواب عن هذا السؤال.

المبحث الرابع: وتم الحديث فيه عن مسألة القدر الميثب والمعلق، والمحو والإثبات وزيادة العمر ونقصانه. **المبحث الخامس:** وفيه الجواب عن السؤال الذي يطرح كثيراً وهو: هل الإنسان مسير أم مخير؟

الفصل الخامس: وتحتة المباحث الأربعة التالية:

المبحث الأول: وفيه ذكر لبعض الأخطاء التي تقع في باب القدر. **المبحث الثاني:** وفيه الحديث عن إنكار القدر، وعن أول من أنكره في هذه الأمة.

المبحث الثالث: وفيه حديث عن الفرق التي ضلت في باب القدر. **المبحث الرابع:** وفيه إيراد لبعض القصص والمحاورات مع القدرية، يستبين بها صحة مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر.

خاتمة الكتاب: وهي عبارة عن خاتمة للبحث، وقد تضمنت ملخصاً لما جاء في هذا الكتاب.

وأخيراً ألتمس العذر من القراء الكرام على كثرة التقصير وضعف التقرير والتحريير. وآمل من كل قارئ يلاحظ خللاً أن ينبهني عليه وله الدعاء والشكر.

ولا يسعني وأنا أضع يدي عن شبة القلم إلا أن أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله خالصاً لوجهه - عز وجل - ، وأن يغفر لي ما كان من خطأ أو زلل.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من مد يد العون لي في هذا الكتاب، وأسأل الله أن يجزل له الأجر والثوبة، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

الأربعاء ٢٣/٧/١٤١٤هـ

محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي

الفصل الأول

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر.

المبحث الثاني: مسألة .

المبحث الثالث: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الرابع: أدلته .

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر، والعلاقة بينهما

- أولاً: القدر:

القدر في اللغة: (مصدر قَدَرٍ يَقْدِرُ قَدَرًا وقد تسكن داله) ^(١) قال ابن فارس: «قدر: القاف والذال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته؛ فالقدر مبلغ كل شيء، يقال: قَدَرُهُ كذا أي مبلغه، وكذلك القَدَر، وقدرت الشيء أَقْدَرُهُ وَأَقْدَرُهُ من التقدير» ^(٢).

والقَدَر: محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدره الله - عز وجل - من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والتقدير: التروية والتفكير في تسوية أمر، والقَدَر كالقَدَر، وجميعها جمعها أقدار ^(٣).

والقدر في الاصطلاح: (تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته) ^(٤).

أو هو: (ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد.

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٢٢/٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٦٢/٥، وانظر: النهاية، ٢٣/٤.

(٣) انظر: لسان العرب، (٧٢/٥) مادة قدر، والقاموس المحيط، ٥٩١ مادة قدر.

(٤) رسائل في العقيدة للشيخ ابن عثيمين، ٣٧.

وأنه - عز وجل - قدّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم - سبحانه وتعالى - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده - تعالى - وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها^(١).

- ثانياً: القضاء:

القضاء في اللغة: (هو الحكم والصنع، والحثم، والبيان. وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق)^(٢).

- العلاقة بين القضاء والقدر:

١ - قيل: (المراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء الخلق، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت، ١٢] أي خلقهن، فالقضاء والقدر أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه)^(٣).

٢ - وقيل العكس: (فالقضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق)^(٤). قال ابن

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، ٣٤٨/١.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ٤٤١ - ٤٤٢، وانظر: لسان العرب، ١٨٦/١٥، والقاموس، (١٧٠٨) مادة: قضى، وانظر: مقاييس اللغة، ٩٩/٥.

(٣) لسان العرب، ١٨٦/١٥، والنهاية، ٧٨/٤.

(٤) القضاء والقدر: د. عمر الأشقر، ٢٧.

حجر العسقلاني: «وقالوا أي العلماء: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفصيله»^(١).

٣ - قيل: إذا اجتمعا افترقا بحيث يصبح لكل واحدٍ منهما مدلول بحسب ما مرَّ في القولين السابقين، وإذا افترقا اجتمعا، بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر^(٢).

(١) فتح الباري: ٤٨٦/١١ .

(٢) انظر: الدرر السنية، ٥١٢/١-٥١٣ .

المبحث الثاني

مسألة

قبل أن ندخل في تفاصيل الحديث عن موضوع القضاء والقدر، يجدر بنا أن نقف عند مسألة أثّرت قديماً، وتثار حديثاً، مفادها: أنه لا ينبغي الحديث في مسائل القدر مطلقاً، بحجة أن ذلك يبعث على الشك والحيرة، وأن هذا الباب زلّت به أقدام، وضلّت به أفهام.

والكلام هكذا - على إطلاقه - غير صحيح، لأمر عديدة منها:

١ - أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا به، فكيف يعرف إذا لم يُتحدث عنه، ويُبَيَّن للناس؟!

٢ - أنه ورد في أعظم حديث في الإسلام، وهو حديث جبريل - عليه السلام - وكان ذلك في آخر حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - في آخر الحديث: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»^(١). فمعرفة من الدين، وهي واجبة ولو على سبيل الإجمال.

٣ - أن القرآن الكريم مليء بذكر القدر وتفاصيله، والله - عز وجل - أمرنا بتدبر القرآن وعقله، كما في قوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك

(١) مسلم في كتاب الإيمان، ١/٣٨ برقم (٨) .

ليدبروا آياته» ﴿[ص ٢٩] وقوله: ﴿أفلا يتبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد، ٢٤]، فما الذي يخرج الآيات التي تتحدث في القدر من هذا العموم؟!

٤ - أن الصحابة - رضي الله عنهم - سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أدق الأمور في القدر، كما جاء في حديث جابر في صحيح مسلم عندما جاء سراقه بن مالك بن جعشم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما نستقبل؟ قال: «لا بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير» وقال: ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر»، وفي رواية «كل عامل ميسر لعمله»^(١).

٥ - أن الصحابة علموا تلاميذهم - من التابعين - ذلك، وسألوهم ليختبروهم، وليحزروا فهمهم، كما جاء في صحيح مسلم أن أبا الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: (أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، شيء قُضي عليهم، ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قُضي عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟ قال: ففزع من ذلك فزعاً شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله، ومملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله، إني لم أُرِدْ بما سألتك إلا لأحزُرَ عقلك)^(٢).

٦ - أن أئمة السلف الصالح من العلماء ألفوا في هذا الباب، بل

(١) رواه مسلم في الصحيح، في باب القدر (٤٨/٨) برقم (٢٦٤٨).

(٢) رواه مسلم في باب القدر، (٤٨-٤٩) برقم (٢٦٥٠).

وأطبوا فيه ، فلو قلنا بمنع الحديث عن القدر لضللناهم وسفهانا أحلامهم .

٧ - لو تركنا الحديث عن القدر لجهل الناس به ، ولربما انفتح الباب لأهل البدعة والضلالة ليروجوا باطلهم ويلبسوا على المسلمين دينهم .

٨ - لو تركنا الحديث عن القدر ، وعن ثمراته لفاتنا علم غزير وخير كثير .

فإن قيل كيف نجمع بين هذا وبين ما ورد في ذم الخوض في القدر ، كما في قوله - عليه الصلاة والسلام - كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا »^(١) .

وكذلك ما ورد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - غضب غضباً شديداً ، عندما خرج على أصحابه يوماً وهم يتنازعون في القدر ، حتى احمرَّ وجهه ، حتى كأنها فقيء في وجنتيه حب الرمان ، فقال : « أبهذا أمرتم ؟ أم

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ، (٢٤٣/١٠) رقم ١٠٤٤٨ ، وأبونعيم في الحلية ، ١٠٨/٤ وقال أبونعيم : « غريب من حديث الأعمش تفرد به عنه مسهر » . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/٧ : « وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح » . وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ، ٤١/١ : « إسناده حسن » ، وحسنه ابن حجر في الفتح ، ٤٨٦/١١ ، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير فيض القدير ، ٣٤٨/١ ، وقال الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤٥) : صحيح وانظر : السلسلة الصحيحة ، ٤٢/١ برقم (٣٤) ، وقال المباركفوري في تحفة الأحوذ ، ٣٣٦/٦ : إسناده حسن .

وهذا الحديث جاء من حديث ثوبان - رضي الله عنه - بلفظه عند الطبراني في الكبير ، ٩٦/٢ رقم ١٤٢٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ٢٠٢/٧ : وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف .

بهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»^(١).

فالجواب عن ذلك: أن النهي الوارد منصب على الأمور الآتية:

- ١ - الخوض بالقدر بالباطل وبلا علم ولا دليل.
- ٢ - الاعتماد في معرفة القدر على العقل البشري القاصر بعيداً عن هدي الكتاب والسنة؛ ذلك لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك على وجه التفصيل^(٢).
- ٣ - عدم التسليم والاذعان لله - تعالى - في قدره؛ ذلك لأن القدر غيب، والغيب مبناه على التسليم.
- ٤ - البحث عن الجانب الخفي في القدر، الذي هو سر الله في خلقه، والذي لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وذلك مما تتقاصر العقول عن فهمه ومعرفته^(٣).

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة في كتاب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، ٤/٤٤٣ رقم (٢١٣٣) وقال: وفي الباب عن عمرو وعائشة وأنس، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب يفرد بها لا يتابع عليها.

وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/٢٢٣ رقم ١٧٣٢ - ٢٢٣١: حسن. وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بلفظ: «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم» أخرجه أحمد، ١/٣٠، وأبوداود، ٥/٨٤ رقم ٤٧١٠ - ٤٧٢٠، والحاكم، ١/٨٥.

(٢) انظر: الإبانة لابن بطة العكبري، ١/٤٢١-٤٢٢.

(٣) انظر: الدين الخالص لصديق حسن، ٣/١٧١.

٥ - الأسئلة الاعتراضية التي لا ينبغي أن يُسأل عنها، كمن يقول متعنتاً: لماذا هدى الله فلاناً، وأضل فلاناً؟ ولماذا كلّف الله الإنسان من بين سائر المخلوقات؟ ولماذا أغنى الله فلاناً، وأفقر فلاناً؟ وهكذا، أما (من سأل مستفهماً فلا بأس به، فشفاء العي السؤال، أما من سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم، فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره)^(٥).

٦ - التنازع في القدر؛ الذي يؤدي إلى اختلاف الناس فيه، وافتراقهم، فهذا مما نهينا عنه.

ومن هنا يتبين لنا أن النهي عن الحديث في القدر على إطلاقه غير صحيح، وإنما النهي كان عن الأمور الآنفه الذكر.

أما البحث فيما يستطيع العقل البشري أن يجول فيه، ويفهمه من منطلق النصوص، كالبحث في مراتب القدر، وأقسام التقدير، وخلق أفعال العباد إلى غير ذلك من مباحث القدر - فهذا ميسر واضح لا يمنع من البحث فيه، على أنه لا يستطيع كل أحد أن يفهمها على وجه التفصيل، إلا أن هناك من يعلمها ويكشف ما فيها. ومما يؤيد ذلك - من أن النهي ليس على إطلاقه - أنه ورد في الحديث، حديث ابن مسعود، مع الأمر بالإمساك عن القدر - الإمساك عن الصحابة، والإمساك عن الصحابة إنما المقصود به الإمساك عن ذكر مساوئهم، وتنقصهم وثلبهم، أما ذكر محاسنهم، والثناء عليهم، فهذا أمر محمود بلا خلاف. فقد أثنى الله عليهم في القرآن الكريم وزكاهم، وكذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

(١) شرح الطحاوية، ص ٢٦٢، وانظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة، ص ٣٥.

ومما يؤيد ذلك أيضاً أن سبب غضب النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث السابق - حديث الترمذي - إنما هو بسبب تنازع الصحابة في القدر، (وهذا يعني أن الكلام في القدر، أو البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح غير محرم أو منهي عنه، وإنما الذي نهى عنه الرسول - عليه الصلاة والسلام هو التنازع في القدر)^(١).

(١) القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق الدسوقي، ١/ ٣٦٨.

المبحث الثالث

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر (١)

الإيمان بالقدر يثمر ثمرات جليلة تعود على الأفراد والمجتمعات، في الدنيا والآخرة، فمن تلك الثمرات مايلى :

١. أداء عبادة الله - عز وجل - :

فالقدر مما تعبدنا الله - سبحانه وتعالى - بالإيمان به .

٢. الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك :

فالمجوس زعموا: أن النور خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، والقدرية قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد، فهم أثبتوا خالقين مع الله - جل وعلا - وهذا شركٌ، والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد لله .

٣. الشجاعة والإقدام :

فالذي يؤمن بالقدر يعلم أنه لن يموت إلا إذا جاء أجله، ولا يناله إلا ما كُتب له، فيُقدم غير هَيَّابٍ ولا مبالٍ بما يناله من الأذى والمصائب في سبيل الله، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :

(١) انظر: إلى الجامع الصحيح في القدر، للشيخ: مقبل بن هادي الوادعي، ص ١١-١٢، والقضاء والقدر لعمر الأشقر، ١٠٩-١١٢، ومجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي للشيخ: ابن عثيمين، ٧٣/١، والإيمان للدكتور: محمد نعيم ياسين، ص ١٩٠-١٩٧ .

أي يومي من الموت أفر يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم ما قدر لا أهربه وإذا قدر لا ينجي الحذر^(١)

٤ . قوة الإيمان:

فالذي يؤمن بالقدر يقوى إيمانه، فلا يتخلى عنه ولا يتزعزع أو يتضعع مهما ناله في ذلك السبيل .

٥ . الصبر والاحتساب ومواجهة الأخطار والصعاب:

فالذين لا يؤمنون بالقدر ربما يؤدي الجزع ببعضهم إلى أن يكفروا بالله، وبعضهم يُجن، وبعضهم يصبح موسوساً، وبعضهم يلجأ إلى المخدرات، وبعضهم يقتل نفسه، ولذلك يكثر الانتحار في البلاد التي لا يؤمن أهلها بالقدر كأمریکا، والسويد، والنرويج، بل إن الأمر وصل بالسويد إلى أن يفتحوا مستشفيات للانتحار، وأسباب ذلك ترجع لأمر تافه، فبعضهم ينتحر بسبب تخلي خطيبته عنه، وبعضهم بسبب رسوبه في الامتحان، وبعضهم بسبب وفاة المطرب الذي يحبه، وقد يكون الانتحار جماعياً . والعجيب في الأمر أن غالبية المنتحرين ليسوا من الفقراء بل هم من الطبقة الغنية، بل ويقع الانتحار من الأطباء النفسيين الذين يُظن بهم أنهم يجلبون السعادة للناس ! .

٦ . الهداية:

كما في قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن، ١١] .

٧- الكرم:

فالذي يؤمن بالقدر، وأن الفقر والغنى بيد الله، وأنه لا يفتقر إلا إذا قدر الله له ذلك - فإنه ينفق ولا يبالي.

٨. التوكل واليقين والاستسلام لله، والاعتماد عليه:

كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَصِيْبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة، ٥١].

٩. الإخلاص:

فالذي يؤمن بالقدر لا يعمل لأجل الناس؛ لعلمه أنهم لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له.

١٠. إحسان الظن بالله، وقوة الرجاء:

فالمؤمن بالقدر حسنُ الظن بالله، قويُّ الرجاء به في كل أحواله، يصدق عليه قول القائل: ما مسني قدرٌ بضرٍ أو رضا إلا وجدت به إليك طريقاً

١١. الخوف والحذر من الله:

فالمؤمن بالقدر على حذر من الله، إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فلا يغتر بعمله مهما كثر؛ فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها حيث يشاء، والخواتيم علمها عند الله - عز وجل - .

١٢. الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك

بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها. وذلك مثل رذيلة الحسد؛ فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم ذلك، فأعطى من شاء، ومنع من شاء، ابتلاءً وامتحاناً منه - عز

وجل - وأنه حين يحسد غيره - إنما يعترض على القدر . (١) .

١٣ . عدم الاعتماد على الكهان، والمنجمين، والمشعوذين، والتمسح بآثربة القبور، ودعاء غير الله، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله؛ لأنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيرها.

١٤ . التواضع:

فالمؤمن بالقدر إذا رزقه الله بهال، أو جاه، أو علم، أو غير ذلك، تواضع لله، لعلمه أن هذا من الله، ولو شاء لانتزعه منه، إنه على كل شيء قدير.

١٥ . ومن ثمرات الإيمان بالقدر: السلامة من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، وأقداره الكونية، والتسليم لله في ذلك كله .

١٦ . ومن ثمراته: الجد والحزم في الأمور، والحرص على كل خير ديني أو دنيوي . كما في قوله - عليه الصلاة والسلام - : « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء - فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل » (٢) .

١٧ . الشكر:

فالمؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فمن الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة، فينبعث بسبب ذلك إلى شكر الله، إذ هو المنعم

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية عدد ٣٤ ص ٢٥٠ مبحث وسطية أهل السنة في القدر، د. عواد المعنق .

(٢) صحيح مسلم، ٥٦/٨ برقم (٢٦٦٤) .

المتفضل الذي قدر له ذلك وهو المستحق للشكر، وهذا لا يعني ألا يشكر الناس.

١٨. الرضا:

فيرضى بالله رباً مدبراً مشرعاً، فتمتلىء نفسه بالرضا عن ربه، فإذا رضي بالله أرضاه الله - عز وجل -، «فالرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا، ومستراح العابدين»^(١).

١٩. الفرح:

فيفرح المؤمن بالقدر بذلك الإيمان الذي حرم منه أمم كثيرة: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [يونس، ٥٨].

٢٠. الاستقامة على منهج سواء في السراء أو الضراء:

فالعباد فيهم قصور، ونقص، وضعف، لا يستقيمون على منهج سواء، إلا من آمن بالقدر، فإن النعمة لا تبطره، والمصيبة لا تقنطه.

٢١. عدم اليأس من انتصار الحق:

فالمؤمن بالقدر يعلم علم اليقين أن العقابة للمتقين وإن قدر الله في ذلك نافذ لا محالة، فلا يدبُّ اليأس إلى قلبه، ولا يعرف إليه طريقاً مهماً احلولكت ظلمة الباطل.

٢٢. علو الهمة، وعدم الرضا بالدون، وعدم الرضا بالواقع الأليم:

فالمؤمن بالقدر تجده عالي الهمة لا يرضى بالدون ولا بالواقع المر الأليم، ولا يستسلم له محتججاً بالقدر، إذ أن هذا ليس مجال الاحتجاج

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ٤٧٦/٢.

بالقدر؛ لأنه من المعائب، والاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب دون المعائب، بل إن إيمانه بالقدر يحتم عليه أن يسعى سعيًا حثيثاً لتغيير هذا الواقع حسب قدرته واستطاعته.

٢٣. الإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله - عز وجل - فيما يقدره من خير أو شر.

فيعرف الإنسان بذلك أن وراء تفكيره، وتخيلاته من هو أعظم وأعلم، ولهذا كثيراً ما يقع الشيء فنكرهه وهو خير لنا؛ فكم من الناس من يندم ويتحسر إذا فاته موعد إقلاع الطائرة - مثلاً - وما هي إلا مدة يسيرة ثم يعلن بعدها عن سقوط الطائرة، ووفاة جميع ركاها، وكم من الناس من يتبرم ويضيق صدره لفوات محبوب أو نزول مكروب، وما أن ينكشف الأمر ويستبين سر القدر إلا وتجدّه جذلاً مسروراً؛ لأن العاقبة كانت حميدة بالنسبة له، وصدق الله - تعالى - إذ يقول: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة، ٢١٦]. (١).

وما أجمل قول من قال:

كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في طيِّ المكارهِ كامنة (٢)

وقول الآخر:

تجري الأمور على حكم القضاء وفي طيِّ الحوادث محبوب ومكروه
وربما سرنى ما كنت أحذره وربما ساءنى ما كنت أرجوه (٣)

(١) انظر: الفوائد لابن القيم ص ١٣٦ - ١٤٠ .

(٢)(٣) انظر: جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى للغرناطي ٥٢/٣ .

٢٤. ومن ثمراته . عزة النفس والقناعة والتحرر من رق المخلوقين :

فالمؤمن بالقدر - يعلم أن رزقه مكتوب ، وأنه لن يموت حتى يستوفي رزقه ، ويدرك أن الله كافيه وحسبه ورازقه ، وأن العباد مهما حاولوا إيصال الرزق له ، أو منعه عنه - فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله ؛ فينبعث بذلك إلى القناعة وعزة النفس ، والإجمال في الطلب ، وترك التكالب على الدنيا ، والتحرر من رق المخلوقين ، وقطع الطمع مما في أيديهم ، والتوجه بالقلب إلى رب العالمين ، وهذا أس فلاحه ورأس نجاحه ، ومن جميل ما يذكر في هذا المعنى ما ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قوله :

أفادتني القناعة كلَّ عَزٍّ وهل عَزٌّ أعزُّ من القناعة
فصيرَها لنفسك رأسَ مالٍ وصير بعدها التقوى بضاعة
تحز ربحاً وتغنى عن بخيل وتنعم في الجنان بصبر ساعة^(١)

ومن ذلك قول الشافعي - رحمه الله تعالى - :

رأيت القناعة كنز الغنى فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمك
وصرت غنياً بلا درهمٍ أمراً على الناس شبه الملك^(٢)

٢٥. سكون القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال:

فهذه الأمور من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، وهي مطلب ملح ، وهدف منشود، فكل من على وجه البسيطة يبتغيها ويبحث عنها ، ولكن كما

(١) ديوان الإمام علي ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) ديوان الإمام الشافعي ، ص ٢٧ .

قيل :

كل من في الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات
فلا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها، ولا يعلم ثمرتها - إلا من آمن بالله
وبقضائه وقدره .

وإنك لتجد عند خواص المسلمين من العلماء العاملين، والعباد
القانتين المتبعين، من سكون القلب، وطمأنينة النفس - ما لا يخطر على
بال، ولا يدور حول ما يشبهه خيال، فلهم في ذلك الشأن - القَدْحُ المعلى،
والنصيب الأوفى .

فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه ورحمه - يقول :
«أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر»^(١) .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يقول : «إن في الدنيا
جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»^(٢) .

ويقول مقولته المشهورة التي قالها عندما اقتيد إلى السجن : «ما يصنع
أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رحلت فهي معي لا
تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»^(٣) .
بل إنك تجد عند عوام المسلمين من سكون القلب، وزاحة البال، وبرد
اليقين - ما لا تجده عند كبار الكتاب والمفكرين والأطباء من غير المسلمين .
فكم من الأطباء غير المسلمين - على سبيل المثال - من يعجب، ويذهب به
العجب كل مذهب، وذلك إذا كان لديه مريض مسلم واكتشف أنه مصاب

(١) جامع العلوم والحكم، ٢٨٧/١ ، وانظر: سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبد الحكم ص ٩٧ .

(٢) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الكرمي الحنبلي ص ٣٤ .

(٣) شيخ الإسلام أحمد تقي الدين ابن تيمية : جهاده - دعوته - عقيدته ، للشیخ أحمد القطان
ومحمد الزين ص ١٠١ .

بداء خطير - كالسرطان مثلاً - . فترى هذا الطبيب يختار في كيفية إخبار هذا المريض، ومصارحته بعلته، فتجده يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى، وتجده يمهد الطريق، ويضع المقدمات، كل ذلك خشية من ردة فعل المريض إزاء هذا الخبر.

وما أن يُعلِّمه بمرضه، ونخبه بعلته - إلا ويفاجأ بأن هذا المريض يستقبل هذا الخبر بنفس راضية، وصدر رحب، وسكينة وهدوء .

لقد أدهش كثيراً من هؤلاء إيمان المسلمين بالقضاء والقدر، فكتبوا في هذا الشأن، معبرين عن دهشتهم، مسجلين شهادتهم بقوة عزائم المسلمين، وارتفاع معنوياتهم، وحسن استقبالهم لصعوبات الحياة .

فهذه شهادة حق من قوم حرموا الإيمان بالله وبقضائه وقدره :

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

ومن هؤلاء الكتاب الذين كتبوا في ذلك - الكاتب المشهور (ر. ن. س. بودلي) مؤلف كتابي (رياح على الصحراء) و(الرسول) وأربعة عشر كتاباً أخرى، والذي أورد رأيه (ديل كارنيجي) في كتابه (دع القلق وابدأ الحياة) في مقالة بعنوان (عشت في جنة الله) يقول بودلي : «في عام ١٩١٨ ولّيت ظهري العالم الذي عرفته طيلة حياتي، ويممت شطر أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عشت بين الأعراب في الصحراء، وقضيت هناك سبعة أعوام، أتقنت خلالها لغة البدو، وكنت أرتمي زيم، وأكل من طعامهم، وأتخذ مظاهرهم في الحياة، وغدت مثلهم أمتك أغناماً، وأنام كما ينامون في الخيام، وقد تعمقت في دراسة الإسلام، حتى أنني ألّفت كتاباً عن محمد - صلى الله عليه وسلم - عنوانه «الرسول»، وكانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرحل من أمتع سني حياتي، وأحفلها

بالسلام، والاطمئنان، والرضا بالحياة.

وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق، فهم بوصفهم مسلمين - يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدتهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذاً سهلاً هيناً، فهم لا يتعجلون أمراً، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقاً على أمر، إنهم يؤمنون بأن «ما قدر يكون»، وأن الفرد منهم «لن يصيبه إلا ما كتب الله له»، وليس معنى هذا أنهم يتواكلون، أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي كلاً^(١).

ثم أردف قائلاً: «ودعني أضرب لك مثلاً لما أعنيه: هبت ذات يوم عاصفة عاتية حملت رمال الصحراء، وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادي «الرون» في فرنسا، وكانت العاصفة حارة شديدة الحرارة، حتى أحسست كأن شعر رأسي يتزعزع من منابته لفرط وطأة الحر، وأحسست من فرط القيظ كأنني مدفوع إلى الجنون، ولكن العرب لم يشكوا إطلاقاً، فقد هزوا أكتافهم، وقالوا كلمتهم الماثورة «قضاء مكتوب».

لكنهم ما أن مرت العاصفة حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير، فذبحوا صغار الخراف قبل أن يودي القيظ بحياتها، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء.

فعلوا هذا كله في صمت وهدوء، دون أن تبدوا من أحدهم شكوى، قال رئيس القبيلة الشيخ: لم نفقد الشيء الكثير؛ فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شيء، ولكن حمداً لله وشكراً، فإن لدينا نحو أربعين في المائة من ماشيتنا، وفي استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد^(٢).

(١)(٢) دع القلق وابدأ الحياة، ديل كارنيجي، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

ثم قال : «وئمة حادثة أخرى، فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يوماً، فانفجر أحد الإطارات، وكان السائق قد نسي استحضر إطار احتياطي، وتولاني الغضب، وانتابني القلق والهلم، وسألت صحبي من الأعراب : ماذا وعسى أن نفعل؟ فذكروني بأن الاندفاع إلى الغضب لن يجدي فتيلاً، بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق.

ومن ثم درجت بنا السيارة وهي تجري على ثلاث إطارات ليس إلا، لكنها ما لبثت أن كفت عن السير، وعلمت أن البنزين قد نفذ، وهنالك أيضاً لم تثر ثائرة أحد من رفاقي الأعراب، ولا فارقهم هدوءهم، بل مضوا يزرعون الطريق سيراً على الأقدام»^(١).

وبعد أن استعرض بودلي تجربته مع عرب الصحراء علق بقوله : «قد أقنعتني الأعوام السبعة التي قضيتها في الصحراء بين الأعراب الرحل - أن الملتائين، ومرضى النفوس، و السكيرين الذين تحفل بهم أمريكا وأوربا - ما هم إلا ضحايا المدينة التي تتخذ السرعة أساساً لها.

إنني لم أعان شيئاً من القلق قط وأنا أعيش في الصحراء، بل هنالك في جنة الله وجدت السكينة، والقناعة، والرضا»^(٢).

وأخيراً ختم كلامه بقوله : «وخلاصة القول أنني بعد انقضاء سبعة عشر عاماً على مغادرتي الصحراء - ما زلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقابل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء والامتنال والسكينة.

ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير»^(٣).

(١)(٢)(٣) المرجع السابق ص ٢٩١ - ٢٩٥ وانظر الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي لطريقة بنت سعود الشويعر ص ٧٤ - ٧٥ .

المبحث الرابع

أدلته

دل على هذا الركن العظيم من أركان الإيمان الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة، والعقل، والحس.

أما الأدلة من القرآن الكريم: فكثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب، ٣٨]. وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر، ٤٩]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان، ٢]، وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدَى﴾ [الأعلى، ٣]، وقوله: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال، ٤٢]، وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسَدُنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء، ٤].

أما من السنة: فكما قال - عليه الصلاة والسلام - كما في حديث جبريل - عليه السلام - : «وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١)، وروى مسلم في الصحيح عن طاووس قال: (أدركت ناساً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز)^(٢).

(١) مسلم، كتاب الإيمان، ٣٨/١ رقم (٨).

(٢) رواه مسلم، ٢٠٤٥/٤ برقم (٢٦٥٥)، ورواه أحمد في المسند، تحقيق: أحمد شاكر، ١٥٢/٨.

برقم (٥٨٩٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه مالك، في الموطأ، ٨٧٩/٢.

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل»^(١).

أما الإجماع، فقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله.

أما الفطرة: فإن الإيمان بالقدر أمر معلوم بالفطرة قديماً وحديثاً، ولم ينكره إلا الشواذ من المشركين من الأمم، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح، ولهذا قال - سبحانه - عن المشركين : ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام، ١٤٨]، فهم أثبتوا المشيئة لله لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بين - سبحانه - أن هذا هو شأن من كان قبلهم، كما في قوله : ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ [الأنعام، ١٤٨].

وكانت العرب في الجاهلية تعرف القدر ولا تنكره، ولم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف، وهذا ما نجده مثبتاً في أشعارهم، كما في قول عنتره :

يا عبل أين من المنية مهربي إن كان ربي في السماء قضاها^(٢)
وكما في قول طرفة :

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالدٍ ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد^(٣)
وقول لبيد :

صادفن منها غرةً فأصبنا إن المنايا لا تطيش سهامها^(٤)

(١) رواه مسلم، ٢٥٦/٨ برقم (٢٦٦٤).

(٢) ديوان عنتره، ٧٤.

(٣) شرح المعلقات العشر، للزوزني، ص ١١٩.

(٤) نفس المصدر السابق، ص ١٧٦، وانظر ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ١٧١.

وكما في قول عمرو بن كلثوم :

وأنا سوف تدركنا المنايا مقدرةً لنا ومقدرينا^(١)
وقول زهير:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم^(٢)
كما نجد ذلك أيضاً في خطبهم ، كما في قول هانئ بن مسعود
الشيباني في خطبته المشهورة في يوم ذي قار : «إنَّ الحذر لا يُنجي من القدر» .
ولم يقل أحد منهم بنفيه إطلاقاً كما صرح بذلك أحد كبار علماء العربية
وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب بقوله : «لا أعلم عربياً قدرياً ، قيل
له : يقع في قلوب العرب القول بالقدر؟ قال : معاذ الله ، ما في العرب إلا
مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية والإسلام ، وكلامهم كثير بين ، ثم
أنشد :

تجرى المقادير على غرز الإبر ما تنفذ الإبرة إلا بقدر
قال : وأنشد لامرئ القيس :

إن الشقاء على الأشقين مكتوب^(٣)

وقال لبید :

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل
أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل

(١) شرح القصائد المشهورات ، لابن النحاس ، ٩١/٢ .

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٢٥ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، (٣/٥٣٨) ، وانظر : (٤/٧٠٤-٧٠٥) من الكتاب نفسه .

من هداه سبلاً الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل^(١)

أما دلالة العقل فهي : أن العقل الصحيح يقطع أن الله هو خالق هذا الكون، ومدبره، ومالكه، ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة، إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟ فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في ملكه إلا وقد شاء وقدره، ثم إن تفاصيل القدر لا ينكرها العقل، بل هي مما يتفق معه تمام الاتفاق، كما سيمر معنا.

أما دلالة الحس: فنحن نشاهد ونسمع، ونقرأ أن الناس تستقيم أمورهم بالإيمان بالقضاء والقدر، وقد مرَّ معنا شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بالقدر، فالؤمنون به حقاً هم أسعد الناس وأصبرهم، وأشجعهم، وأكرمهم، وأكملهم، وأعقلهم، ولو لم يكن الإيمان بالقدر حقاً لما حصل لهم ذلك، ثم إن القدر (هو نظام التوحيد)^(٢) كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ، والتوحيد هو نظام الحياة، فلا تستقيم حياة الناس استقامة حقيقية إلا بالتوحيد، والتوحيد لا يستقيم إلا بالإيمان بالقضاء والقدر.

ولعل فيما سيمر معنا في آخر هذا البحث من قصص لأناس انحرفوا

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٧٠٥/٤)، وانظر: شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه، لذكرى صيام، ص ٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى، (١١٣/٣).

في باب القدر شاهداً على ذلك، ثم إن فيما أخبرنا الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - من أمور الغيب المستقبلية التي وقعت كما جاء في الخبر - دليلاً حسيماً واضحاً على أن الإيمان بالقدر حق وصدق

الفصل الثاني

المبحث الأول: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب
القدر.

المبحث الثاني: مراتب القدر وأركانه .

المبحث الثالث: خلق أفعال العباد . .

المبحث الرابع: أقسام التقدير.

المبحث الخامس: ما الواجب على العبد في باب القضاء
والقدر؟

المبحث الأول

مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب القدر

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - سؤالاً عن القدر فأجاب عنه إجابة مطولة ضمنها مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ومما قاله :

(مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره، ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء، وربّه، ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد، وغير أفعال العباد.

وأنه - سبحانه - ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته، وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه - سبحانه - يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد دخل في ذلك أفعال العباد، وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون،

وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون^(١) إلى أن قال: (وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده، ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده)^(٢).

وقال: (ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها - مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء - أن العباد لهم مشيئة وقدر، يفعلون بمشيئتهم، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرْ، فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْ، وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾^(٣) [المدر، ٥٤-٥٦].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٨/٤٤٩-٤٥٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٨/٤٥٢).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٨/٤٥٩).

المبحث الثاني

مراتب القدر أو أركانه (١)

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تُسمى مراتب القدر أو أركانه، وهي المدخل لفهم باب القدر، ولا يتم الإيمان به إلا بتحقيقها كلها، فبعضها مرتبط ببعض. فمن أقر بها جميعاً أكتمل إيمانه بالقدر، ومن انتقص واحداً منها أو أكثر اختل إيمانه بالقدر، وهذه الأركان هي :

١ - العلم . ٢ - الكتابة . ٣ - المشيئة . ٤ - الخلق .

وقد نظمها بعضهم بقوله :

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين

(١) انظر: العقيدة الواسطية مع شروحها، الروضة الندية، لزيد بن فياض، ص ٣٥٣ ،
والتنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ ابن سعدي
مع تعليقات ساحة الشيخ ابن باز من ٧٥ إلى ٨٠ ، وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء
والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، من (٦١) إلى (١١٦)، ومعارج القبول، للشيخ حافظ
الحكمي، من ٢٢٥/٢ إلى ٢٣٨ ، وأعلام السنة المنشورة، للحكمي أيضاً، من (١٢٦)
إلى (١٢٩) ، ورسائل في العقيدة، للشيخ ابن عثيمين، ٣٧ ، وتقريب التدمرية، لابن
عثيمين، ١٠٨-١٠٩ ، والقضاء والقدر، د. عمر الأشقر، من ٢٩ إلى ٣٦ ، وشرح العقيدة
الواسطية، للشيخ صالح الفوزان، ١٥٠ إلى ١٥٦ ، وخلاصة معتقد أهل السنة، تأليف:
عبدالله بن سليمان المشعل، ٢٩-٣٠ .

المرتبة الأولى: العلم:

وهو الإتيان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً، وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده، فعلمه محيط بها كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود، والمعدوم، والممكن، والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وقد عَلِمَ جميع خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأهل الجنة، وأهل النار.

وهذه المرتبة - وهي العلم السابق - اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم، واتفق عليها جميع الصحابة، ومن تبعهم من هذه الأمة، وخالفهم مجوس هذه الأمة - القدريّة الغلاة - ، والأدلة على هذه المرتبة كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر، ٢٢]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة، ٢٥٥]، وقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ، وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ، ٣]، وقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام، ١٢٤]، وقوله: ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم، ٧]، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا رَطْبٌ، وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام، ٥٩]، وقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة، ٤٦]، وقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام، ٢٨]، وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال، ٢٣].

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :
سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أبناء المشركين ، فقال : « الله أعلم بما
كانوا عاملين »^(١) ، وقال - عليه الصلاة والسلام - : « ما منكم من نفس إلا
وقد علم منزلها من الجنة والنار »^(٢) .

المرتبة الثانية: الكتابة:

وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم
القيامة في اللوح المحفوظ ، وقد أجمع الصحابة ، والتابعون ، وجميع أهل
السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب
التي هي اللوح المحفوظ ، والذكر ، والإمام المبين ، والكتاب المبين .
والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة ، منها قوله تعالى :
﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج ، ٧٠] ، وقوله : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس ،
١٢] ، وقوله : ﴿ قُلْ لَنْ يَصْبِيَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة ، ٥١] ، وقال
- سبحانه - عن موسى - عليه السلام - دعاءه : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةً ﴾ [الأعراف ، ١٥٦] ، وقال عن محاجة موسى - عليه الصلاة والسلام -
لفرعون : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ
رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه ، ٥١-٥٢] .

وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي
الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « كتب

(١) البخاري ، ٢١٠/٧ ، وانظر : الفتح ، ٤٩٣/١١ .

(٢) أخرجه مسلم ، في القدر ، ٤٧/٨ برقم (٢٦٤٧) .

الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(١)، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة»^(٢).

المرتبة الثالثة: المشيئة:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه لا حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته، وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأدلة العقل والبيان، والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جداً من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الفصل، ٦٨]، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير، ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولْنَ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف، ٢٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام، ١١١]، وقوله: ﴿مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام، ٣٩].

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين

(١) مسلم، (٥١/٨)، ومختصر صحيح مسلم، ٤٨٦ برقم (١٨٤١).

(٢) البخاري، في التفسير، ٨٤/٦، ومسلم، في القدر، ٤٦/٨-٤٧، وانظر: مختصر صحيح

البخاري، ص ٤٨٧ برقم (١٨٤٤).

من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصرفه حيث يشاء»^(١).

ومشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان، وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون لعدم مشيئته، لا لعدم قدرته عليه، قال تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد﴾ [البقرة، ٢٥٣]، فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرة الله، ولكن لعدم مشيئته ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ [الأنعام، ٣٥]، وقوله: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ [الأنعام، ١٠٧]، وقوله: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ [يونس، ٩٩]^(٢).

المرتبة الرابعة: الخلق:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق مُوجَدٌ من العدم، كائن بعد أن لم يكن، وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، واتفقت عليها الفطر، والعقول السليمة، والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصر، منها قوله - تعالى - : ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر، ٦٢]، وقوله: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام، ١]، وقوله: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [تبارك، ٢]، وقوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منها

(١) صحيح مسلم، ٥١/٨ برقم (٢٦٥٥).

(٢) انظر: كتاب الصفدية، لابن تيمية، ١٠٩/٢.

رجالاً كثيراً ونساءً ﴿[النساء، ١]، وقوله: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ [الأنبياء، ٣٣]، وقال - سبحانه - : ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ [فاطر، ٣].
وأخرج البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة - رضي الله عنه -
قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله يصنع كل صانع وصنعتة»^(١).

هذه هي مراتب القدر الأربع، التي لا يتم الإيمان بالقدر إلا بها.

(١) أخرجه البخاري، في خلق أفعال العباد، والرد على الجهمية وأهل التعطيل، ص ٢٥ باب أفعال العباد.

المبحث الثالث

خلق أفعال العباد

أفعال العباد داخلة في عموم خلقه تعالى، ولا يخرجها شيء من عموم قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر، ٦٢]، وإنما أفردت هنا لوقوع اللبس فيها، وخلاصة القول في هذه المسألة: أن أفعال العباد كلها من الطاعات، والمعاصي، داخلة في خلق الله، وقضائه، وقدره، فقد علم الله ما سيخلقه في عباده، وعلم ما هم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فعملوا على النحو الذي شاءه فيهم، وهدى الله من كتب لهم السعادة، وأضل من كتب لهم الشقاوة، وعلم أهل الجنة ويسرهم لعمل أهلها، وعلم أهل النار ويسرهم لعمل أهلها.

فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً، وهي من العباد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم، وهم الفاعلون لها، فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة الدالة على شمول خلق الله، وقدرته لكل شيء من الأعمال والأوصاف، كما نؤمن بنصوص الكتاب والسنة الدالة على أن العباد هم الفاعلون حقيقة للخير والشر، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة^(١).

(١) انظر: المسائل والرسائل، للإمام أحمد بن حنبل، ١/١٤٧ إلى ١٥٠، والإبانة، للأشعري، =

والنصوص التي مرت معنا في المرتبة الرابعة من مراتب القدر تدل على ذلك، وهناك أدلة أصرح في الدلالة على هذه المسألة كقوله - تعالى - : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصفات، ٩٦].

قال المفسرون: في معنى (ما) في الآية وجهان :
«أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر؛ فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم.

والثاني: بمعنى الذي؛ فيكون المعنى ، والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام. وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله»^(١).

= من ص ١٠٧ إلى ١٣٠ ، ورسالة الثغر، للأشعري، ص ٧٥، و ٧٨، و ٨٣، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة، من ص ٢١ إلى ٢٣، والاعتقاد، للبيهقي، ٧٣، وانظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ٢١، والنبوات لابن تيمية، ٤٣٧، ودرء تعارض العقل والنقل، ٨٥/١-٨٦، ومنهاج السنة، ٢/٢٩٨، و ٣/١١٢، و ١٢٨، و ١٢٩، وشفاء العليل، من ص ١٠٨ إلى ١٤٠، وشرح قصيدة ابن القيم النونية، لابن عيسى، ١٣٥/٢، وانظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي، ٣/٦٥، والقضاء والقدر، لعمر الأشقر، (٣٧)، وانظر: إلى كتاب: القاضي أبو يعلى وكتاب مسائل الإيمان، دراسة وتحقيقاً، لسعود بن عبدالعزيز الخلف، ص ٩٨-٩٩، وانظر: العقيدة الواسطية، بتعليق: الشيخ ابن مانع، ص ٥٠-٥١، ومعارج القبول، للحكمي، ٢/٢٣٨-٢٤٠، والتعليقات على لمعة الاعتقاد، للشيخ ابن جبرين، ٦١-٦٤، ولمعة الاعتقاد، بشرح الشيخ ابن عثيمين، ٩٥.

(١) زاد المسير، لابن الجوزي، ٧/٧٠، وانظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، ١٢/٧٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/١٥.

المبحث الرابع

أقسام التقدير (١)

١. التقدير العام:

وهو تقدير الرب لجميع الكائنات، بمعنى علمه بها، وكتابته لها، ومشيتته، وخلقه لها، ويدل على هذا النوع أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ [الحج، ٧٠].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء» (٢).

٢. التقدير البشري:

وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة.

(١) انظر: أعلام السنة المشورة، للشيخ حافظ الحكمي، من ١٢٩ إلى ١٣٣، وتعليق: سباحة الشيخ ابن باز على الواسطية من ٧٨ إلى ٨٠.

(٢) رواه: مسلم ٥١/٨.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ . [الأعراف، ١٧٢].

وعن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أبتدأ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، فأهل الجنة يسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار يسرون لعمل أهل النار»^(٣).

٣ - التقدير العمري:

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابة شقاوته، أو سعادته، وقد دل على ذلك حديث الصادق المصدوق في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله وشقي أو سعيد»^(١).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بتحقيق الشيخ الألباني ٧٣/١، وقال الألباني إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، والسيوطي في الدر المنثور ٦٠٤/٣ وقال: أخرجه ابن أبي جرير والبخاري والطبراني والآجري في الشريعة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(١) رواه البخاري، (٢١٠/٧)، ومسلم (٤٤/٨) برقم (٢٦٤٣)، وابن ماجه، ٢٩/١ رقم (٧٦).

٤ . التقدير السنوي:

وذلك في ليلة القدر من كل سنة، ويدل عليه قوله - تعالى - : ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ [الدخان، ٤]، وقوله : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ [القدر، ٤-٦]، قيل : يكتب فيها - أي هذه الليلة - ما يحدث في السنة من موت وحياة، وعز وذل، ورزق ومطر، حتى الحجاج يُقال : يحج فلان، ويحج فلان، رُوي هذا عن ابن عمر، وابن عباس، وكذا الحسن وسعيد بن جبیر.

٥ . التقدير اليومي:

ويدل عليه قوله - تعالى - : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ [الرحمن، ٢٩]، قيل في تفسيرها : شأنه أن يُعزَّز ويُذل، ويرفع ويُخفض، ويُعطي ويمنع، ويُغني ويُفقر، ويُضحك ويُبكي، ويُميت ويُحيي، إلى غير ذلك.

المبحث الخامس

ما الواجب على العبد في باب القدر ؟

الواجب على العبد في هذا الباب أن يؤمن بقضاء الله، وقدره، وأن يؤمن بشرع الله، وأمره، ونهيه، فعليه تصديق الخبر، وطاعة الأمر^(١). فإذا أحسن حمد الله تعالى، وإذا أساء استغفر الله تعالى، وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره، فإن «آدم» - عليه السلام - لما أذنّب تاب، فاجتبه ربه وهداه، وإبليس أصرّ واحتج فلعنه الله وأقصاه، فمن تاب كان آدمياً، ومن أصرّ واحتج بالقدر صار إبليسياً، فالسعداء يتبعون أباهم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس^(٢).

«وبالمراعاة الصحيحة لقدر الله، وشرعه، يصير الإنسان عابداً حقيقة، فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من أنبياء، وصديقين، وشهداء، وصالحين. وكفى بهذه الصحبة غبطة وسعادة»^(٣).

وبالجملة فعليه أن يؤمن بمراتب القدر الأربع السابقة، وأنه لا يقع

(١) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية، ٣٤١/٢، وانظر: درء تعارض العقل والنقل، ٤٠٥/٨.

(٢) انظر: الفتاوى، (٦٤/٨)، وطريق الهجرتين، ١٧٠.

(٣) التحفة المهدية في شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح بن مهدي، (١٤٠/٢)، وانظر تقريب التدمرية، للشيخ ابن عثيمين، ١١٩.

شيء إلا وقد علمه الله، وكتبه، وشاءه، وخلقه، ويؤمن أيضاً بأن الله أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة، ويترك المعصية، فإذا وفقه الله لفعل الطاعة، وترك المعصية فليحمد الله وليستمر على ذلك، وإن فعل المعصية وترك الطاعة، فعليه أن يستغفر ويتوب.

وهذا - والله الحمد - مقتضى الأدلة الشرعية، والفطرية، والعقلية، والحسية، لا تناقض فيه، ولا لبس.

ثم إن على العبد - أيضاً - أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويمشي في مناكبها، فإن أتت الأمور على ما يريد - حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد - تعزى بقدر الله، وعلم أن ذلك كله واقع بقدر الله - عز وجل - وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ولا يلزم كل أحد أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقدر، بل يكفي هذا الإيمان المجمل، فأهل السنة والجماعة - كما هو مقرر عندهم - لا يوجبون على العاجز ما يجب على القادر.

الفصل الثالث

المبحث الأول: هل الإيمان بالقدر ينافي أن يكون للعبد
مشيئة في أفعاله الاختيارية؟

المبحث الثاني: هل فعل الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء
والقدر؟

المبحث الثالث: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك
الواجبات.

المبحث الرابع: الإرادة الربانية.

المبحث الأول

هل الإيمان بالقدر ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية ؟

الإيمان بالقدر على ما مرَّ لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وأن يكون له قدرة عليها، وقد دل على ذلك الشرع والواقع .
أما الشرع: فالأدلة على ذلك كثيرة جداً منها قوله - تعالى - : ﴿فمن شاء اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً﴾ [النبا، ٣٩]، وقوله : ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة، ٢٢٣]، وقال : ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة، ٢٨٦]، وقوله : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران، ١٣٣]، وقال : ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف، ٢٩] .

أما الواقع: فكل إنسان يعلم أن له مشيئة، وقدرة يفعل بهما ويترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته، كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش^(١) .
 لكنَّ مشيئته، وقدرته واقعتان بمشيئة الله - تعالى - وقدرته، لقوله - تعالى - : ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُم أَن يُسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير، ٢٨-٢٩] .

وتوضيح ذلك كما قال العلامة ابن سعدي - رحمه الله تعالى - : (أن

(١) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية، من ١٠٩/٣ إلى ١١٢، والتبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، ص ٤٥، و١٦٦ إلى ١٦٩، وانظر: رسائل في العقيدة، لابن عثيمين، ٣٧-٣٨، والقضاء والقدر، لابن عثيمين، ١٥-١٧ .

العبد إذا صلى، وصام، وعمل الخير، أو عمل شيئاً من المعاصي - كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، والعمل السيئ، وفعله المذكور - بلا ريب - واقع باختياره، وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل وكما أن هذا هو الواقع فهو الذي نص الله عليه في كتابه، ونص عليه رسوله - صلى الله عليه وسلم - حيث أضاف الأعمال صالحها، وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم هم الفاعلون لها، وأنهم محمودون عليها إذا كانت صالحة، ومثابون عليها، ومذمومون إذا كانت سيئة، ومعاقبون عليها، فقد تبين بهذا واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم، وأنهم إن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحساً، وشرعاً، ومشاهدة.

ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها - وإن كانت كذلك - واقعة منهم، كيف تكون داخلية في القدر؟ وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم، وإرادتهم. والذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذي خلق الأفعال، فهذا الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر، والقضاء، والاختيار، ومع ذلك فهو - تعالى - أمد المؤمنين بأسباب، وألطف، وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: «وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة»^(١). وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم، لأنهم لم يؤمنوا به ولم يتوكلوا عليه فولاهم ما تولوه لأنفسهم»^(٢).

(١) رواه: مسلم في كتاب القدر، برقم (٢٦٤٧).

(٢) التنبيهات اللطيفة، ٨٢-٨٣، وانظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ص ٢٢، وانظر: شرح =

المبحث الثاني

هل فعل الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر ؟

فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إن مباشرتها من تمام الإيمان بالقضاء والقدر.

«ولهذا يجب على العبد - مع الإيمان بالقدر - الاجتهاد في العمل، والأخذ بأسباب النجاة، والالتجاء إلى الله - تعالى - بأن ييسر له أسباب السعادة، وأن يعينه عليها»^(١).

ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، واتخاذ العدد لمواجهة الأعداء، والتزود للأسفار، وغير ذلك، قال - تعالى - : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة، ١٠]، وقال : ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك، ١٥]، وقال : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال، ٦]، وأمر المسافرين للحج بالتزود، فقال : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة، ١٩٧]، وأمر

= الواسطية، للهراس، ص ٢٢٨، وانظر: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيطان دحلان، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي ص ٢٣٩ - ٢٤٣ .

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله الغنيان (٢/٦٢٩) .

بالدعاء والاستعانة، فقال: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر، ٦٠]، وقال: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة، ٤٥].

وأمر باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه، وجنته، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وحيأة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، بل حياة المرسلين جميعاً، والسائرين على نهجهم كلها شاهدة على أخذهم بالأسباب، والجد، والاجتهاد^(١).

قال الشيخ ابن سعدي: «ويظن كثير من الناس أن إثبات الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا غلط فاحش جداً، وهو عائد على القدر بالإبطال، وهو إبطال - أيضاً للحكمة - . وكأن هذا الظان يقول ويعتقد أن الإيمان بالقدر هو اعتقاد وجود الأشياء بدون أسبابها الشرعية والقدرية، وهذا نفي للوجود لها، فإنها - كما ذكرنا - أن الله ربط الكون بعضه ببعض، ونظم بعضه ببعض، وأوجد بعضه ببعض، فهل تقول أيها الظان جهلاً أن الأولى إيجاد البناء من دون بنيان، وإيجاد الحبوب، والشمار، والزروع من دون حرث وسقي، وإيجاد الأولاد والنسل من دون نكاح، وإدخال الجنة من دون إيمان وعمل صالح، وإدخال النار من دون كفر ومعصية؟! بهذا الظن أبطلت القدر، وأبطلت معه الحكمة، أما علمت أن الله بحكمته، وكمال قدرته جعل للمسببات أسباباً؟ وللمقاصد طرقاً ووسائل تحصل بها؟ وقرر هذا في الفطر، والعقول، كما قرره في الشرع، وكما نفذ في الواقع، فإنه أعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلق له من أصناف السعي، والحركة، والتصرفات المتنوعة، وبني أمور الدنيا والآخرة

(١) انظر: القضاء والقدر، للأشقر، ٨٣-٨٤ .

على ذلك النظام البديع العجيب الذي شهد - أولاً - لله بكمال القدرة، وكمال الحكمة، وأشهد العباد - ثانياً - أن بهذا التنظيم، والتيسير، والتصريف وجه العاملين إلى أعمالهم، ونشطهم على أشغالهم.

فطالب الآخرة إذا علم أنها لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح وترك ضدها - جدّ واجتهد في تحقيق الإيمان، وكثرت تفاصيله النافعة، واجتهد في كل علم صالح يوصله إلى الآخرة، واجتنب في مقابلة ذلك الكفر، والعصيان، وبادر للتوبة النصوح من كل ما وقع منه من ذلك.

وصاحب الحرث إذا علم أنه لا ينال إلا بحرث وسقي وملاحظة تامة جد واجتهد في كل وسيلة تنمي حراثته، وتكملها، وتدفع عنها الآفات. وصاحب الصناعة إذا علم أن المصنوعات على اختلاف أنواعها، ومنافعها، لا تحصل إلا بتعلم الصناعة، وإتقانها، ثم العمل بها - جد في ذلك.

ومن أراد حصول الأولاد، أو تنمية مواشيه - عمل وسعى في ذلك وهكذا جميع الأمور^(١).

وقال شيخ الإسلام: (وإذا ترك العبد ما أمر به متكلاً على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شقيماً، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول: أنا لا أكل، ولا أشرب؛ فإن كان الله قضى بالشبع والري - حصل، وإلا لم يحصل، أو يقول: لا أجامع امرأتى فإن كان الله قضى لي

(١) الرياض الناضرة، ١٢٥-١٢٦، وانظر: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة عبدالرزاق العباد من ٨٦ إلى ٨٩، وانظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ص ١٢.

يولد - فإنه يكون . وكذلك من غلط فترك الدعاء ، أو ترك الاستعانة ، والتوكل ظاناً أن ذلك من مقامات الخاصة ناظراً إلى القدر ، فكل هؤلاء جاهلون ضالون ، ويشهد لهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان »^(١) . فأمره بالحرص على ما ينفعه ، والاستعانة بالله ، ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر ، ثم أمره إذا أصابه شيء ألا ييأس على ما فاته ، بل ينظر إلى القدر ، ويسلم الأمر لله ، فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك ، كما قال بعض العقلاء : (الأمور أمران : أمر فيه حيلة ، وأمر لا حيلة فيه ، فما فيه حيلة لا يعجز عنه ، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه)^(٢) .

وما يُقال هؤلاء الذين يتركون العمل اعتماداً على القدر : إن الذي قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »^(٣) ، والذي قال : « ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار »^(٤) هو الذي قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »^(٥) ، ﴿ أَتُؤْمِنُونَ ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة ، ١٨٥] !! ؟

(١) صحيح مسلم ، ٥٦/٨ برقم (٢٦٦٤) باختصار .

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٨٤/٨ - ٢٨٥ ، وانظر إلى : السنن الإلهية ، لعبدالكريم زيدان ، من ٢١ إلى ٣٣ .

(٣) مسلم ٥١/٨ .

(٤) صحيح مسلم ، ٤٧/٨ .

(٥) صحيح مسلم ، ٤٧/٨ برقم (٢٦٤٧) .

المبحث الثالث

الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات

الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات، أو فعل من المعاصي، قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر. ونفس المحتجّ بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول»^(١).

وبما أن هذا الأمر مما يعمّ به البلاء سنورد عدداً من الأدلة الشرعية والعقلية، والواقعية التي يتضح من خلالها بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات^(٢):

١ - قال الله - تعالى -: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا

(١) مجموع الفتاوى ١٧٩/٨، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٨٥٨/٢ - ٨٥٩.

(٢) انظر: منهج السنة النبوية، ٦٥/٣ إلى ٧٨، وانظر: مجموع الفتاوى ٢٦٢/٨ إلى ٢٦٨،

ورسائل في العقيدة ٣٨ - ٣٩، وانظر: لمعة الاعتقاد بشرح الشيخ محمد بن عثيمين ٩٣، ٩٤.

ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴿١٤٨﴾ . [الأنعام، ١٤٨]. فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم، ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحاً ما أذاقهم الله بأسه .

٢ - قال - تعالى - : ﴿رُسُلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسل﴾ . [النساء، ١٦٥]. فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغاً لما كان هناك داع لإرسال الرسل .

٣ - أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال - تعالى - : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ . [التغابن، ١٦]. وقال : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ . [البقرة، ٢٨٦]. ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور .

٤ - أن القدر سرٌّ مكتوم لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه، وإرادة العبد لما يفعله سابقة لفعله، فتكون إرادته للفعل غير مبنية على علم بقدر الله، فادعأؤه أن الله قدّر عليه كذا وكذا ادعأء باطل؛ لأنه ادعأء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، فحجته إذاً داحضة؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه .

٥ - أننا لو سلمنا للمحتج بالقدر على الذنوب لعطّلنا الشرائع .

٦ - لو كان الاحتجاج بالقدر - على هذا النحو - حجة لقبول من إبليس الذي قال : ﴿فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم﴾ . [الأعراف، ١٦].

٧ - ولو كان حجة أيضاً لتساوى فرعون عدو الله، مع موسى كليم

الله - عليه السلام - .

٨ - الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعائب تصحيح لمذهب الكفار، وهذا لازم لهذا المحتج، لا ينفك عنه.

٩ - ولو كان حجة لاحتجَّ به أهل النار، إذا عاينوها، وظنوا أنهم واقعوها، كذلك إذا دخلوها، وبدأ توبيخهم وتقريعهم، هل يحتجون بالقدر على معاصيهم وكفرهم؟ الجواب لا؛ بل إنهم يقولون كما قال - عز وجل - عنهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسْلَ﴾. [إبراهيم، ٤٤]. ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾. [المؤمنون، ١٠٦]. وقال: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. [الملك، ١٠]. وقال عنهم قولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾. [المدثر، ٢٠]. إلى غير ذلك مما يقولون.

١٠ - ومما يردُّ هذا القول أيضاً أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور دنياه حتى يدركه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه، ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟! وإليك مثلاً يوضح ذلك: لو أراد إنسان السفر إلى بلد، وهذا البلد له طريقان، أحدهما آمن مطمئن، والآخر كله فوضى واضطراب، وقتل، وسلب، فأيهما سيسلك؟ لا شك أنه سيسلك الطريق الأول، فلماذا لا يسلك في أمر الآخرة طريق الجنة دون طريق النار؟

١١ - المحتج بالقدر على المعاصي شبه نفسه بالمجانين، والصبيان، فهم غير مكلفين، ولا مؤاخذين، ولو عُوِّمل معاملتهم في أمور الدنيا لما رضي.

١٢ - لو قبلنا هذا الاحتجاج الباطل لما كان هناك حاجة للاستغفار،

والتوبة، والدعاء، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٣ - لو كان القدر حجة على المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس، ولعمت الفوضى، ولما كان هناك داع للحدود، والتعزيرات، والجزاءات، لأن المسيء سيحتج بالقدر، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظلمة، وقطاع الطريق، ولا إلى فتح المحاكم، ونصب القضاة بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله. وهذا لا يقول به عاقل.

١٤ - أن هذا المحتج بالقدر الذي يقول: لا نؤاخذ، لأن الله كتب ذلك علينا، فكيف نؤاخذ بما كتب علينا؟
يُقال له: إننا لا نؤاخذ على الكتابة السابقة، إنما نؤاخذ بما فعلناه، وكسبناه.

وبالجملة فإن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، أو ترك الطاعات احتجاج باطل في الشرع، والعقل، والواقع، قال شيخ الإسلام: «هؤلاء القوم إذا أصرروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى»^(١).

متى يسوغ الاحتجاج بالقدر؟

يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر، والمرض، وفقد القريب، فهذا من تمام الرضا بالله رباً، فالاحتجاج يكون على المصائب، لا المعائب، «فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال - تعالى -: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾». [غافر، ٥٥]. والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى ٨/٢٦٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٤٥٤، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٥٧ - ٨٥٨.

ويوضح ذلك المثال الآتي: لو أن رجلاً قتل آخر عن طريق الخطأ، ثم لأمه من لأمه، واحتج القاتل بالقدر، لكان احتجاجه مقبولاً، ولا يمنع ذلك من أن يؤاخذ، ولو قتل رجل رجلاً عن طريق العمد ثم قُرِعَ القاتل ووُيِّخَ على ذلك، ثم احتج بالقدر، لم يكن الاحتجاج منه مقبولاً، ولهذا حجَّ آدم موسى - عليهما السلام - كما في قوله - عليه الصلاة والسلام - في محاجتهما: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قد قَدَّرَ عليَّ قبل أن أخلق؟ فحجَّ آدم موسى»^(١).

فآدم - عليه السلام - لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف، وموسى - عليه السلام - لم يلُمَّ آدم على الذنب، لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه وتاب، فاجتبه ربه، وتاب عليه، وهده، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولو أن موسى لام آدم على الذنب لأجابه: «إني أذنبت فتبت، فتاب الله عليَّ، ولقال له: أنت يا موسى أيضاً قتلت نفسك، وألقيت الألواح إلى غير ذلك، إنما احتج موسى بالمصيبة فحجَّه آدم بالقدر»^(٢).

«فما قَدَّرَ من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله رباً، أما الذنوب فليس لأحد أن يُذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب، ويصبر على المصائب»^(٣).

(١) أخرجه مسلم، في كتاب القدر ٥٠/٨ برقم (٢٦٥٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٧٨/٨، ومنهاج السنة ٧٨/٣ - ٨١، والاحتجاج بالقدر لابن تيمية ص ١٨ - ٢٢، والفرقان لشيخ الإسلام ص ١٠٣ - ١٠٥، والأدب الشرعية لابن مفلح ٢٥٨/١ - ٢٦٠.

(٣) شرح الطحاوية ص ١٤٧، وانظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٦٣/٥، والتدمرية =

وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر التائب من الذنب، فلو لامه أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر، ثم إنه لا يسوغ لأحد أن يلوم التائب من الذنب، فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فلو قيل لأحد التائبين: لم فعلت كذا وكذا؟ ثم قال: هذا بقضاء الله وقدره، وأنا تبت واستغفرت، لقبل منه ذلك الاحتجاج^(١).

= ص ٢٣١، وانظر: المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من فتاوى ابن تيمية ص ٣٤.

(١) انظر: شفاء العليل ص ٣٥، وانظر: القضاء والقدر، لأسعد محمد الصاغري ص ٢٤، وتقريب التدمرية لابن عثيمين ص ١١٥.

المبحث الرابع

الإرادة الربانية

تنقسم الإرادة الربانية إلى قسمين :

١ - إرادة كونية قدرية : وهي مرادفة للمشيئة ، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء ، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء ، فالطاعات ، والمعاصي ، كلها بمشيئة الرب ، وإرادته ، ومن أمثلتها قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ . [الرعد ، ١١] . وقوله : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضَلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّهُ يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ . [الأنعام ، ١٢٥] .

٢ - إرادة شرعية دينية : وتتضمن محبة الرب ، ورضاه ، ومن أمثلتها قوله - تعالى - : ﴿ يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ . [البقرة ، ١٨٥] . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ . [النساء ، ٢٧] . وقوله : ﴿ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ . [المائدة ، ٦] ^(١) .

الفرق بين الإرادتين^(٢) :

من الفروق بين الإرادتين ما يلي :

(١) انظر: منهاج السنة النبوية ٣/ ١٥٦ - ١٥٧ ، والاستقامة ١/ ٤٣٣ ، وانظر: تعليق الشيخ ابن

باز على الواسطية ص ٤١ .

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية ٣/ ١٨٠ - ١٨٣ و ٥/ ٣٦٠ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٧/ ٧٢ ، ٧٣ ، وانظر: =

١ - الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها، أما الشرعية فلا بد أن يحبها ويرضاها.

٢ - الإرادة الكونية مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً، وسائر الشرور لتحصل بسببها محاب كثيرة، كالنوبة، والمجاهدة، والاستغفار، أما الشرعية فمقصودة لذاتها، فالله أراد الطاعة وأحبها، وشرعها، ورضيها لذاتها.

٣ - الإرادة الكونية لا بد من وقوعها، فالله إذا أراد شيئاً وقع ولا بد، كإحياء أحد أو إماتته، أو غير ذلك، أما الشرعية كالإسلام مثلاً فلا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.

٤ - الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه.

٥ - الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالذي أدى الصلاة مثلاً جمع بينهما، وذلك لأن الصلاة محبوبة لله، وقد أمر بها، ورضيها، وأحبها، فهي شرعية، وكونها وقعت دلّ على أن الله أرادها كوناً، فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع، وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت فهذا يدلّ على أن الله شاءها؛ لأنه لا يقع شيئاً إلا بمشيئته، وكونها غير محبوبة، ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية،

= شفاء العليل ص ٥٥٧، وتعليق الشيخ ابن باز على الواسطية ص ٤١، وشرح الواسطية للهراس ص ١٠٠، وشرح الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص ٤٢ - ٤٣، والقضاء والقدر للأشقر ص ١٠٦، والتعليقات على لمعة الاعتقاد للشيخ عبدالله بن جبرين ص ٦٠ - ٦١.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع مع أمر الله بها ومحبتها لها ورضاه هذا دليل على أنها أيضاً شرعية فقط، إذ هي مرادة محبوبة لم تقع.

٦ - الإرادة الكونية أعمّ من جهة تعلّقها بها لا يحبه الله ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر، وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلّقها بكل مأمور به، واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به، هذه فوارق بين الإرادتين، فمن عرف الفرق بينهما سلم من شُبّهات كثيرة، زلّت بها أقدام، وضلّت بها أفهام، فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً، ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان أعور^(١).

نماذج لأُمور شرعية وكونية^(٢):

كما أن الإرادة منها ما هو كوني قدري، ومنها ما هو شرعي ديني - فكَذَلِكَ الْكِتَابَةُ، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والإيتاء، ونحوها، كل هذه الأمور منها ما هو شرعي ومنها ما هو كوني.

فمن أمثلة الكتابة الكونية قوله - تعالى -: ﴿كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. [المجادلة، ٢١]. ومن أمثلة الكتابة الشرعية قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾. [البقرة، ١٨٣]. والأمر الكوني قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ

(١) انظر: الاستقامة لابن تيمية ٧٨/٢.

(٢) انظر: شفاء العليل من صفحة ٥٥٨ - ٥٦٧.

بالبصر ﴿. [القمر، ٥٠]. والشرعي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. [النحل، ٩٠]. وَالْإِذْنَ الْكَوْنِيَّ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. [البقرة، ١٠٢]. والشرعي: ﴿اللَّهُ أَذُنٌ لَكُمْ أَمَ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾. [يونس، ٥٩]. وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾. [الشورى، ٢١]. وَالْجَعَلَ الْكَوْنِيَّ قَوْلُهُ: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [الأنعام، ١٢٥]. والشرعي قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾. [المائدة، ١٠٣]. أما قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾. [المائدة، ٩٧]، فهذا يتناول الأمرين، فإن الله جعلها كذلك بقدره وبشرعه. وكذلك الكلمات منها ما هو كوني كقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [يونس، ٣٣]. ومنها الشرعي كقوله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾. [التوبة، ٦]. واجتمع النوعان في قوله - تعالى -: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾. [التحریم، ١٢]. وكذلك البعث منه الكوني كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾. [الإسراء، ٥]. والشرعي كقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾. [البقرة، ٢١٣]. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾. [الجمعة، ٢]. وكذلك الإرسال منه الكوني كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾. [الأعراف، ٥٧]. ومنه الديني كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾. [الصف، ٩]. والتحریم الكوني كقوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾. [القصص، ١٢]. والشرعي: ﴿وَحَرَّمْ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾. [المائدة، ٩٦]. وَالْإِيتَاءَ الْكَوْنِيَّ كقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مِنْ شَاءٍ﴾. [البقرة، ٢٤٧]. والديني كقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾. [البقرة، ٩٣]. وقوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾. [البقرة، ٢٦٩]. يشمل النوعين، فإنه يؤتيهما أمراً وديناً وتوفيقاً وإلهاماً.

والفروق بين هذه الأمور - من جهة أن منها ما هو شرعي ديني ، ومنها ما هو كوني قدري - كالفروق بين الإرادتين الكونية القدرية ، والشرعية الدينية .

الفصل الرابع

إشكالات ودفعها

المبحث الأول: الإشكال الأول: هل ينسب الشر إلى الله؟
المبحث الثاني: الإشكال الثاني: كيف يريد الله أمراً
ولا يحبه؟

المبحث الثالث: الإشكال الثالث: هل يجب الرضا بكل ما
قدره الله؟

المبحث الرابع: الإشكال الرابع: القدر المثبت والقدر
المعلق، أو المحو والإثبات، زيادة العمر
ونقصانه .

المبحث الخامس: الإشكال الخامس: هل الإنسان مسير أم
مخير؟

المبحث الأول

الإشكال الأول: هل ينسب الشر إلى الله؟

إذا سأل سائل فقال: نحن نؤمن بالقدر خيره وشره من الله، فهل تصح نسبة الشر إلى الله تعالى؟ وهل يقع في أفعاله شر؟

فالجواب: أن يُقال: إن الله - سبحانه وتعالى - منزّه عن الشر، ولا يفعل إلا الخير، والقدر لا شر فيه بوجه من الوجوه؛ فإنه علّم الله، وقدرته، وكتابتَه، ومشيتَه، وخلقه، وذلك خير محض، وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب بوجه من الوجوه، لا في ذاته، ولا في أسمائه ولا صفاته، ولا في أفعاله، ولو فعل الشر - سبحانه - لاشتق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، ولعاد إليه من الشر حكمٌ - تعالى وتقدس - وإنما الشر يدخل في مخلوقاته، ومفعولاته، فالشر في المقضي، لا في القضاء، ويكون شراً بالنسبة إلى محل، وخيراً بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيراً بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه، كما هو شر من وجه آخر، بل هو الغالب، وهذا كالقصاص، وإقامة الحدود، وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر، والنكال، ودفع الناس بعضهم ببعض. وكذلك الأمراض وإن كانت شروراً من وجه - فهي خيرٌ من وجوه عديدة.

والحاصل أن الشر المحض الذي لا خير فيه بوجه من الوجوه لا يُنسب

إلى الله - تعالى -، ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يثني على ربه بتنزيهه عن الشر بدعاء الاستفتاح في قوله: «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت»^(١).

قال ابن القيم تعليقاً على هذا الحديث: «فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته، وإضافته إليه، فلو أُضيف إليه لم يكن شراً، وهو - سبحانه - خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته، لا في خلقه وفعله، وخلقهُ، وفعله، وقضاؤه، وقدره خير كله، ولهذا تنزه - سبحانه - عن الظلم، الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعُلم أن الشر ليس إليه، وأسماءه الحسنى تشهد بذلك»^(٢).

وقال أيضاً: «فأسماءه الحسنى تمنع نسبة الشر، والسوء، والظلم إليه، مع أنه - سبحانه - الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد، وأفعالهم، وحركاتهم، وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه، كان قد فعل الشر والسوء. والرب - سبحانه - هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدلٌ وحكمةٌ، وصوابٌ، فجعله فاعلاً خيراً، والمفعول شرٌّ قبيح، فهو

(١) رواه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة المسافرين ١/ ٥٣٥، برقم (٧٧١).

(٢) انظر: شفاء العليل (٣٦٤ - ٣٦٥)، وانظر: منهاج السنة ٣/ ١٤٢ - ١٤٤، والتفسير القيم ص ٥٥٠ - ٥٥٦، ومدارج السالكين ١/ ٤٠٩، مشهد الحكمة إلى ٤١٢، وبدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢١٤ - ٢١٥، والروضة الندية لزيد بن فياض من ص ٣٥٤ إلى ٣٦٠، والحكمة والتعليل في أفعال الله، د: محمد بن ربيع المدخلي ص ١٩٩ - ٢٠٤.

- سبحانه - بهذا الجعل قد وضع الشيء في موضعه؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة، ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيباً، ونقصاً وشرّاً^(١).

«والحاصل أن الله - تعالى - لا يُنسب إليه الشر؛ لأنه إن أريد بالشر وضع الشيء في غير موضعه، فهو الظلم، ومقابله: العدل، والله منزّه عن الظلم.

وإن أريد الأذى اللاحق بالمحل بسبب ذنب ارتكبه، فإيجاد الله للعقوبة على ذنب لا يُعد شرّاً له، بل ذلك عدل منه - تعالى -.

وإن أريد به عدم الخير، وأسبابه الموصلة إليه، فالعدم ليس فعلاً حتى ينسب إلى الله، وليس للعبد على الله أن يوفقه، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنع الفضل ليس بظلم ولا شر^(٢).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -: «والله - تعالى - غني عن العباد، إنما أمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم، فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم، محسن لهم بإعانتهم على الطاعة، ولو قدر أن عالماً صالحاً أمر الناس بما ينفعهم، ثم أعان بعض الناس على فعل ما أمرهم به ولم يعن آخرين لكان محسناً إلى هؤلاء إحساناً تاماً، ولم يكن ظالماً لمن لم يحسن إليه.

(١) شفاء العليل ٣٦٦، وانظر ص ٣٦٦ - ٣٨٥ من الكتاب نفسه، وانظر إلى منهاج السنة ١٤٥/١ - ١٤٦ و ١٤٢/٣ - ١٤٥، وانظر: الحسنة والسيئة لابن تيمية ص ٥٢ - ٥٣، وانظر: طريق الهجرتين ص ١٧٢ - ١٨١، ومدارج السالكين ١/٤٠٩، مشهد الحكمة إلى ٤١٢، وبدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢١٤ - ٢١٥، والروضة الندية لزيد بن فياض من ص ٣٥٤ - ٣٦٠، والحكمة والتعليل في أفعال الله د: محمد بن ربيع المدخلي ص ١٩٩ - ٢٠٤.

(٢) الحكمة والتعليل في أفعال الله ص ٢٠٢، وانظر إلى دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

وإذا قدر أنه عاقب المذنب العقوبة التي يقتضيها عدله وحكمته - لكان أيضاً - محموداً على هذا وهذا، وأين هذا من حكمة أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؟! فأمره لهم إرشاد، وتعليم، وتعريف بالخير، فإن أعانهم على فعل المأمور - كان قد أتم النعمة على المأمور، وهو مشكور على هذا وهذا، وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب - كان له في ذلك حكمة أخرى»^(١).

ومن هنا يتبين لنا أن الشر لا ينسب إلى الله - عز وجل -.

(١) منهاج السنة ٣/٣٨، وانظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٤ - ٣٦، ورسالة الثغر للأشعري ص ٨٥.

المبحث الثاني

الاشكال الثاني: كيف يريد الله أمراً ولا يحبه؟^(١)

إذا قيل كيف يريد الله أمراً، وفي الوقت نفسه لا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يُجمع بين إرادته له وبغضه وكراهته؟

قيل: إن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد، والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً لما يريد، ولا فيه مصلحة بالنظر إلى ذاته. - وإن كان وسيلة إلى مقصوده - ومراده فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه، وإيصاله إلى مراده، فيجتمع الأمران: بغضه، وإرادته، ولا يتنافيان، فيبغض من وجه، ويحب من وجه آخر، وهذا أمر معلوم عند الخلق؛ فهذا الدواء الكريه الطعم والرائحة إذا علم الإنسان أن فيه شفاءً أبغضه من وجه، وأحبه من وجه آخر، وقل مثل ذلك في العضو المتآكل إذا عَلم أن في قطعه بقاءً لجسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا عَلم أنها

(١) انظر تفصيل ذلك في شفاء العليل، الباب الحادي والعشرين من ص ٣٦٤ إلى ٤١٢، وانظر إلى الباب الثاني والعشرين من الكتاب نفسه من ص ٤٤٥ إلى ٤٦٠، وانظر: طريق المهجرتين ص ١٨١ - ١٨٣، والفوائد ص ١٣٦ إلى ١٤٠، وانظر إلى مقدمة مفتاح دار السعادة ص ٣، وما بعدها من المقدمة، وانظر: إلى شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ إلى ٢٥٦، والحكمة والتعليل في أفعال الله ص ٢٠٥ إلى ٢١٠، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٣٣٩ - ٣٤٣.

توصل إلى مراده، ومحبوه، كالذي يقطع الفيافي، والمفاوز، والقفار، قاصداً البيت العتيق .

ومن هنا يتبين لنا أن الشيء يجتمع فيه الأمران : بغض من وجه، وحب من وجه آخر، ولا يتنافيان، هذا في شأن المخلوق، فكيف بالخالق الذي لا تخفى عليه خافية، الذي له الحكمة البالغة؟ فهو - سبحانه - يكره الشيء، ولا يتنافى ذلك مع إرادته له لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه مما هو فوقه، ولنضرب على ذلك مثالين مع بيان الحكمة من ذلك :

الأول: خلق إبليس والحكمة من ذلك:

الله - عز وجل - خلق إبليس الذي هو مادة الفساد التي تمد كل فساد في هذه الدنيا، في الأديان، والاعتقادات، والشهوات، والشبهات، وهو سبب لشقاوة العباد، وعملهم ما يغضب الله - عز وجل - وهو مع ذلك كله وسيلة إلى محاب كثيرة، وحكم عظيمة .

وقبل الحديث عن تلك الحكم - يجدر بنا أن نتنبه إلى أمر مهم وهو: أنه لا يلزم من أثبت تعليل أفعال الله بالحكم والمصالح، أن يعلم علة كل فعل وكل أمر، بل عليه أن يعتقد أن الله - تعالى - في جميع أفعاله - حكماً جليلاً - ظهرت لنا أو خفيت - فالله - عز وجل - لم يطلع خلقه على جميع حكمه، بل أعلمهم بما شاء، وما خفي عليهم أكثر مما علموه، فيجب على المسلم أن يعتقد أن أفعال الله وأوامره لا تخلو من الحكم الباهرة العظيمة التي تحير العقول - وإن كان لا يعلمها على وجه التفصيل - لأن عدم العلم بالشيء ليس دليلاً على عدمه، فالطب مثلاً وإجراء العمليات الجراحية لا يعلمها إلا المتخصصون، وكذلك الهندسة وغيرها، وليس عدم علمنا، ومعرفتنا بها يقتضي عدمها ونفيها، إذا تقرر هذا فسنورد فيما يلي بعض الحكم

التي تلمسها العلماء من خلق إبليس :

١ - أن يظهر للعباد قدرة الرب - تعالى - على خلق المتضادات والمتقابلات، فخلق هذه الذات - إبليس - التي هي أخبث الذوات، وهي سبب كل شر، وخلق في مقابلها ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأزكاها، التي هي مادة كل خير، فتبارك من خلق هذا وهذا، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والموت والحياة، والحسن والقبيح، فالضد يظهر حسنه الضد، وهذا أدل دليل على كمال قدرته، وعزته، وملكه، وسلطانه.

٢ - أن يكمل لأوليائه مراتب العبودية؛ وذلك بمجاهدة إبليس وحزبه، وإغاضته بالطاعة لله، والاستعاذة بالله منه، واللجوء إلى الله أن يعيدهم منه ومن كيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية، والأخروية ما لا يحصل بدونه.

٣ - أن إبليس خلق ليكون محكاً يمتحن به الخلق؛ ليتبين به الخبيث من الطيب.

٤ - أن المحبة، والإنابة، والتوكل، والصبر، والرضا، ونحوها أحب أنواع العبودية لله، وهذه إنما تتحقق بالجهد، وبذل النفس، وتقدير محبته على كل من سواه، فكان خلق إبليس سبباً لوجود هذه الأمور.

٥ - ظهور آثار أسمائه - تعالى - ومقتضياتها، ومتعلقاتها، فمن أسمائه الرفع، الخافض، المعز، المذل، الحكم، العدل، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها، فكان خلق إبليس سبباً لظهور آثار هذه الأسماء، فلو كان الخلق كلهم مطيعين، ومؤمنين لم تظهر آثار هذه الأسماء.

أما كونه - سبحانه وتعالى - أنظر إبليس إلى يوم القيامة - فليس إكراماً

له بل إهانة له ليزداد إثماً، فتعظم عقوبته، ويتضاعف عذابه، إضافة إلى ذلك فالله جعله محكماً ليميز به الخبيث من الطيب - كما سبق - ومادام أن الخلق مستمر إلى يوم القيامة، فإن هذا يقتضي بقاء خلق البشر، والله أعلم.

المثال الثاني: خلق المصائب والآلام والحكمة من ذلك:

وكذلك خَلَقُ الآلام، والمصائب فيه من الحكم ما لا يحيط بعلمه إلا الله - عز وجل - تلك الحكم التي تنطق بفضل الله، وعدله، ورحمته ومنها:

- ١ - أن في الآلام، والمصائب امتحاناً لصبر المؤمن.
- ٢ - أن فيها تدريباً له وتقويةً لإيمانه.
- ٣ - أن فيها دليلاً على ضعف الإنسان، وافتقاره الذاتي إلى ربه، ولا فلاح له إلا بافتقاره إلى ربه، وانطراحه بين يديه.
- ٤ - المصائب سبب لتكفير الذنوب، ورفع الدرجات، قال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة، أو حُطَّت عنه بها خطيئة»^(١).
- ٥ - أنها سبب في حصول الأجر للمريض المسلم، والطبيب المعالج المسلم.
- ٦ - أن هذه الآلام منها ما يكون سبباً لصحة الجسم، كما قيل: وربما صحت الأبدان بالعلل^(٢).
- ٧ - إن حصول النعمة بعد ألم ومشقة أعظم قدراً عند الإنسان.

(١) رواه مسلم، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ١٩٩٢/٣ رقم (٢٥٧٢).

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي وصدره يقول: لعل عتبك محمود عواقبه، انظر: ديوان المتنبي ٨٦/٣.

٨ - معرفة فضل الصحة والعافية، وقدرها حق قدرها، إلى غير ذلك من الحكم التي قد يعلمها بعض الناس وقد لا يعلمها.

ومن هنا يتضح لنا أنه لا تنافي بين إرادة الله لأمر من الأمور مع بغضه له، لما له - عز وجل - من الحكم العظيمة الباهرة «وليس اطلاع كثير من الناس - بل أكثرهم - على حكم الله في كل شيء نافعاً لهم، بل قد يكون ضاراً، قال - تعالى -: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾. [المائدة، ١٠١]. وهذه المسألة: مسألة غايات أفعال الله، ونهاية حكمته، مسألة عظيمة، لعلها أجل المسائل الإلهية»^(١).

قال ابن قتيبة - رحمه الله -: «وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل، لا يجوز: كيف خلق؟ وكيف قَدَّر؟ وكيف أعطى؟ وكيف منع؟ وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه، ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل»^(٢).

وهذا يتضح لنا اجتماع الأمرين في حق الله - تعالى - إرادته للشيء مع بغضه له، ولا تنافي في ذلك.

(١) منهاج السنة النبوية ٣/٣٩، وانظر: ١/١٤٦ من الكتاب نفسه، وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/١٨٧ - ١٩٥.

(٢) انظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٥، وانظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١/٣٩٠.

المبحث الثالث

الاشكال الثالث: هل يجب الرضا بكل ما قدره الله؟

الجواب عن ذلك أن يُقال: «نحن غير مأمورين بالرضا بكل ما يقضيه الله ويقدره، ولم يردّ بذلك كتابٌ، ولا سنة»^(١)، بل إن الأمر فيه تفصيل، قال شيخ الإسلام في قصيدته الثائية في القدر:

وأما رضانا بالقضاء فإنما	أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
كسقم وفقر ثم ذل وغربة	وما كان من مؤذٍ بدون جريمة
فأما الأفاعيل التي كرهت لنا	فلا نصّ يأتي في رضاها بطاعة
وقد قال قوم من أولي العلم لا رضاً	بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
وقال فريقٌ نرتضي بقضائه	ولا نرتضي المقتضي أقبح خصلة
وقال فريق نرتضي بإضافه	إليه وما فينا فنلقى بسخطة
كما أنها للرب خلقٌ وأنها	لمخلوقه ليست كفعل الغريزة
فنرضى من الوجه الذي هو خلقه	ونسخط من وجه اكتساب الخطيئة ^(٢)

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في شرح هذه الأبيات:

«يعني إذا أورد المورد علينا: أنه يجب الرضا بقضاء الله - يعني

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٨، وانظر: منهاج السنة ٣/٢٠٥، والاستقامة ٢/١٢٥ -

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٢٥٣، وانظر: الدرة البهية شرح القصيدة الثائية لابن سعدي ص ٥١.

والمعاصي من قضاء الله - فقد أجاب الشيخ - يعني شيخ الإسلام - بأربعة أجوبة، كل واحد منها كافٍ شافٍ، فكيف إذا اجتمعت :

- أحدها : أن الذي أمرنا أن نرضى به : المصائب دون المعائب، فإذا أصبنا بمرض أو فقر، أو نحوهما من حصول مكروه أو فقد محبوب - فيجب علينا الصبر، واختلف في وجوب الرضا، والصحيح استحبابه لأنه لم يثبت ورود الأمر به على وجه الوجوب ؛ لتعذره على أكثر النفوس، لأن الصبر حبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والأعضاء عن عملها بمقتضى السخط، من نتف الشعر، وشق الجيوب، وحشو التراب على الرؤوس، ونحوها، وذلك واجب مقدور.

أما الرضا الذي هو مع ذلك : طمأنينة القلب عند المصيبة، وأن لا يكون فيه تمني أنها ما كانت - فهذا صعب جدًا على أكثر الخلق؛ فلهذا لم يوجبه الله، ولا رسوله، وإنما هو من الدرجات العالية، وهو مأمور به أمر استحباب، وأما الرضا بالذنوب والمعائب، فلم نؤمر بالرضا بها، ولم يأت نصٌ صحيحٌ، أو ضعيفٌ في الأمر بها، فأين هذا من ذاك؟

- الجواب الثاني : ما قاله طائفة من أهل العلم : أن الله لم يرض لنا أن نكفر، ونعصي، فعلينا أن نوافق ربنا في رضاه، وسخطه، قال - تعالى - : ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ . [الزمر، ٣٩]. فالدين : موافقة ربنا في كراهة الكفر، والفسوق، والعصيان، مع تركها، وموافقته في محبة الشكر والإيمان، والطاعة لنا مع فعلها.

- الجواب الثالث : أن القضاء غير المقضي، فنرضى بالقضاء؛ لأنه فعله - تعالى - وأما المقضي، الذي هو فعل العبد فينقسم إلى أقسام كثيرة :

الإيمان، والطاعة علينا الرضا بها، والكفر، والمعصية لا يحل لنا الرضا بها، بل علينا أن نكرهها، ونفعل الأسباب التي ترفعها من التوبة، والاستغفار والحسنات الماحية، وإقامة الحد والتعزير على من فعلها، والمباحات مستوية الطرفين.

- الجواب الرابع: أن الشر والمعاصي تختلف إضافتها، فهي من الله خلقاً وتقديراً وتدبيراً، وهي من العبد فعلاً وتركاً، فحيث أُضيفت إلى الله - قضاء وقدرًا - نرضى بها من هذا الوجه، وحيث أُضيفت إلى العبد - نسخطها، ونسعى بإزالتها بحسب مقدورنا.

فهذه الأجوبة عن الأمر بالرضا بالقضاء قد اتضح أنها لا تدل على شيء من مطلوب المعارض^(١).

(١) الدرة البهية شرح القصيد التائية في حل المشكلة القدريّة ص ٥١-٥٣، وانظر: إلى منهاج السنة ٢٠٣/٣ - ٢٠٩، والاستقامة ٧٣/٢ - ٧٦، وشرح الطحاوية ص ٢٥٨، وانظر: إلى مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ١٢٤ - ١٢٥، والمنتقى من فرائد الفوائد لابن عثيمين ١٠٩.

المبحث الرابع

الإشكال الرابع: القدر المثلث والقدر المعلق، أو المحو والإثبات، زيادة العمر ونقصانه

قد يشكل على بعض الناس مواضع في كتاب الله، وأحاديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيقول بعضهم: إذا كان الله علم كل ما هو كائن، وكتب ذلك كله عنده في كتاب، فما معنى قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾. [الرعد، ٣٩]؟ وإذا كانت الأرزاق والأعمار، والآجال مكتوبة لا تزيد ولا تنقص - فما توجيهكم لقوله، صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»^(١)؟^(٢).

والجواب أن القدر قدران:

١ - القدر المثلث، أو المطلق، أو المبرم:

وهو ما في أم الكتاب - اللوح المحفوظ - فهذا ثابت لا يتغير، ولا يتبدل.

٢ - القدر المعلق، أو المقيد:

وهو ما في كتب الملائكة، فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات.

(١) متفق عليه، البخاري مع الفتح ٤٢٩/١٠، رقم (٥٩٨٥)، ومسلم مع النووي ١١٤/١٦.

(٢) انظر: القضاء والقدر للأشقر ٦٦.

فالأجل والأرزاق والأعمار، وغيرها مثبتة في أم الكتاب لا تتغير، ولا تبدل، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيه المحو والإثبات، والزيادة والنقص، قال شيخ الإسلام:

«والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله، صلى الله عليه وسلم: «من سرّه أن ييسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال: إن وصل رحمه - زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا؟ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر»^(١). وقال في موطن آخر عندما سئل عن الرزق: هل يزيد وينقص؟ فأجاب بقوله: «الرزق نوعان: أحدهما ما علمه الله أنه يرزقه، فهذا لا يتغير، والثاني: ما كتبه، وأعلم به الملائكة، فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب»^(٢).

قال ابن حجر: «كأن يقال للملك مثلاً: إن عمر فلان مائة عام مثلاً، إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾. [الرعد، ٣٩]. فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب - هو الذي في علم الله تعالى، فلا محو فيه البتة، ويُقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلق»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى ٥١٧/٨.

(٢) نفس المصدر السابق ٥٤٠/٨.

(٣) فتح الباري ٤٣٠/١٠، وانظر: إلى تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٨٩، وانظر: إلى شرح صحيح مسلم للنووي ١١٤/١٦، وانظر: إلى إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه للسيوطي.

ثم إن «الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه، فإن كان قد تقدم بأن يرزق العبد بسعيه واكتسابه - ألهمه السعي، والاكتساب، وذلك الذي قدره له بالاكتساب، لا يحصل بدون الاكتساب، وما قدره له بغير اكتساب، كموت مورثه يأتيه بغير اكتساب»^(١). فلا مخالفة في ذلك «لسبق العلم بل فيه تقييد المسببات بأسبابها، كما قدر الشبع والروي، بالأكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، فهل يقول عاقل بأن ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق، أو ينافيه بوجه من الوجوه»؟^(٢).

هذا وقد سبق الحديث في أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب.

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٤٠ - ٥٤١).

(٢) تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل للشوكاني (٣٢)، وانظر إلى تفسير ابن سعدي لقوله تعالى: ﴿يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ (٤/ ١١٦، ١١٧) من التفسير.

المبحث الخامس

الاشكال الخامس: هل الانسان مسير أم مخير؟

هذا السؤال يرد كثيراً، والسائل يريد أن تقول له: إما مسير أو مخير. والحقيقة أن السؤال خطأ في ذاته، وما كان كذلك فلا يجاب عنه إجابة مباشرة، بل لابد من التصحيح، ويكمن الخطأ في هذا السؤال فيما يلي:

١ - أنه لم يرد عن السلف الصالح مثل هذا السؤال في كتبهم، بل يرد في كتب الفلسفة وغيرها^(١)، وطريقة أهل السنة والجماعة في مثل هذه الألفاظ المجملة - التوقف، والاستفصال، فإن كان اللفظ والمعنى صحيحين قبلاً، وإن كانا باطلين رُدًّا، وإن كان اللفظ خطأً، والمعنى حقاً أثبتنا المعنى الحق، ورددنا اللفظ، كألفاظ (الحيز والجسم والجهة) في باب الصفات.

٢ - ومن هنا نستفصل عن هذا السؤال، فإن قلنا: إن الإنسان مسير - قيل: وكيف يحاسب وهو مسير؟ وكيف يكون مسيراً، ونحن نرى أن له مشيئة واختياراً؟

وإن قلنا: مخير، قيل: كيف يكون كذلك وهو قد وُلد بغير اختياره، ويمرض ويموت بغير اختياره؟

(١) انظر: مسألة القضاء والقدر لعبدالحليم قنيس وخالد العك ص ١١٥ .

فإن قيل : السؤال على أعماله الاختيارية التي تقع بإرادته فقط ، فهو مخير فيها قيل : وأفعاله الاختيارية كذلك ، فقد يريد أمراً ويعزم على فعله ، وهو قادر عليه ويفعله ، وقد لا يستطيع فعله لسبب ما ، فليس كل ما أراد الإنسان فَعَلَهُ فَعَلَهُ ؛ فقد يعوقه ما يعوقه ، وهذا شيء مشاهد . ومن هنا يتبين لنا وجه الخطأ في هذا السؤال ، فما المخرج إذًا؟ وما الجواب على هذا الإشكال؟ المخرج والجواب الذي يحل الإشكال هو أن يصحح السؤال ؛ فبدلاً من هذا السؤال كان ينبغي أن يقال : هل للعبد مشيئة وقدرة أم لا؟ والجواب نجده واضحاً جلياً في قوله تعالى : ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ . [التكوير، ٢٨ - ٢٩] . فثبت للعبد مشيئة يختار بها ، وقدرة يفعل بها ، ومشيئته وقدرته واقعتان بمشيئة الله تابعتان لها ، فلو كان مخيراً لفعل كل ما شاءه ، ولو كان مسيراً لما كان له قدرة ومشيئة أبداً^(١) .

وبهذا يزول هذا الإشكال ، ومن هنا - أيضاً - يتبين لنا خطأ بعض من يكتبون عن القدر ، وذلك حينما يُصَدِّرون كتاباتهم عن القدر بذلك السؤال : هل الإنسان مسير أم مخير؟ وكأنَّ بابَّ القدر لا يفهم إلا بحل تلك الشبهة^(٢) ، وكان الأولى هؤلاء أن يصدِّروا كتاباتهم عن القدر بتوضيح معنى القدر من أصله ، فيوضحوا القدر بمراتبه الأربع ، ويبينوا أن الله أمر ونهى ،

(١) انظر: ص ٥١ من هذا الكتاب ، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٣/ ٣٧٧ - ٣٨٠ ، ودفع إيهام الاضطراب ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، وانظر: ص ٦١ من هذا البحث .

(٢) انظر: على سبيل المثال إلى كتاب القضاء والقدر للشيخ محمد الشعراوي ص ٩ - ١٢ ، ومسألة القضاء والقدر ١١٥ - ١٥٠ .

فعلى العبد تصديق الخبر وطاعة الأمر، فإن أحسن فليحمد الله، وإن أساء فليستغفر الله، وكذلك في أمور الدنيا يسعى العبد في مصالحه، ويأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة، فإذا حصل على مراده حمد الله، وإذا أتت الأمور على خلاف ما يريد - تعزى بالقدر وقال: قدر الله وما شاء فعل، ففي ذلك الغنية عن إثارة مثل هذا السؤال؛ لأن الإنسان إذا فهم باب القدر على هذا النحو سلم من تلك الإيرادات والشبهات.

الفصل الخامس

المبحث الأول: أخطاء في باب القدر.

المبحث الثاني: أول من أنكر القدر في هذه الأمة.

المبحث الثالث: الفرق التي ضلت في باب القدر.

المبحث الرابع: قصص ومحاورات مع القدرية.

المبحث الأول

أخطاء في باب القدر

١ - الاحتجاج بالقدر على المعائب:

قد مر معنا قريباً أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعائب، فبعض الناس يحتج بالقدر على استمراره بالذنوب، فإذا قيل له مثلاً لم لا تصلي؟ قال: إذا أراد الله، أو ما أراد الله، وهذا خطأ، فإن كان يقصد بالإرادة هنا المحبة فهذا كذب على الله، فالله أحب الطاعة، ورضيها وأمر بها.

وإن كان يقصد بالإرادة - المشيئة، وأن الله لم يُقدّر عليه ذلك - فهذا كذب أيضاً، ويُقال له: من الذي أطلعك على الغيب، وقال لك: إن الله لم يُقدّر عليك؟! فإرادتك سابقة لفعلك.

٢ - قول بعض الناس: إن الله على ما يشاء قدير: وهذا القول فيه إيهام، والأولى أن يقال: (إن الله على كل شيء قدير) لعموم قدرته - عز وجل - لما شاء وما لم يشأ، أشار إلى ذلك العلامة عبدالرحمن بن حسن، والعلامة محمد بن إبراهيم^(١) - رحمهما الله تعالى -.

٣ - قول بعض الناس إذا سمع بوفاة أحد: هل توفي بسبب؟ أم قضاءً وقدرًا؟

(١) انظر: إلى عنوان المجد في تاريخ نجد ٢/٢٢، وفتاوى محمد بن إبراهيم ١/٢٠٧، وانظر:

معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد ص ٣٣٠ - ٣٣١.

وهذا خطأ؛ فالذي مات بسبب، مات بقضاء الله وقدره، والذي مات بغير سبب ظاهر فهو أيضاً بقضاء الله وقدره.

٤ - الاعتراض على الأقدار:

كقول بعضهم إذا أصيب بمصيبة - ماذا فعلت يا ربي؟ أو أنا لا أستحق هذه العقوبة. وهذا من الاعتراض الذي لا يجوز، فالله - عز وجل - له ما أخذ وله ما أعطى ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾. [الأنبياء، ٢٣].

٥ - شق الجيوب، ولطم الخدود، والنياحة ورفع الصوت وكذلك حلق الشعر والدعاء بالويل إذا نزلت المصيبة^(١).

٦ - قول كلمة «لو» عندما تحمل مصيبة، إذا كان الحامل على ذلك الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقدر. وهذا من الأخطاء في باب القدر، وهو سفه وجهل، ونقص في العقل، «فالعبد مأمور عند المصائب بالصبر، والاسترجاع، والتوبة، وقول «لو» لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر، مع ما يخاف على توحيده من نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا إلا ما شاء الله»^(٢)، وقد نعى الله - عز وجل - على المنافقين مقولتهم: ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا﴾. [آل عمران، ١٥٤].

ومقولة: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا﴾. [آل عمران، ١٦٨]. فرد الله عليهم وعلى أمثالهم بقوله: ﴿قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾. [آل عمران، ١٦٨]. وقد أرشدنا النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا فعلنا الأسباب، وأتت الأمور على خلاف ما نريد أن لا

(١) انظر: عدة الصابرين ١٣١ - ١٣٩ و ٣٢٥.

(٢) انظر: إلى تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله، ٦٦١، وانظر: القول السديد لابن سعدي ص ١٧٢ - ١٧٣.

يقول أحدنا: «لو أني فعلت كذا وكذا ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل، لأن «لو» تفتح عمل الشيطان»^(١).
٧ - قول كلمة «ليت» كذلك.

وهي من جنس كلمة «لو» فلو وليت، لا تجديان بعد حصول الأمر المقدر، بل حينئذ التسليم والإيمان بالله، والتعزي بقدره مع حسن الرجاء بثوابه، فذلك عين الفلاح في الدنيا والآخرة^(٢). وصدق من قال:
ليت شعري وأين مني ليت إن ليتاً وإن لوأ عناء
٨ - الدعاء بـ «اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكني أسألك اللطف بي»:

فهذا الدعاء خطأ، والصواب أننا نسأل الله رد القضاء، كما في الدعاء المشهور: «وقني شر ما قضيت». والدعاء الآخر: «اللهم إني أعوذ بك من درك الشقاء وسوء القضاء».

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه باباً بعنوان: «باب من تعوذ بالله من درك الشقاء، وسوء القضاء، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ من شر ما خلق»^(٣). [الفلق، ١، ٢]. ثم ساق قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء»^(٤).

٩ - الانتحار، فهناك من يقدم على الانتحار، وقتل نفسه رغبة في التخلص من الدنيا، وذلك إذا نزلت به نازلة أو حلت به قارعة، وهذا العمل منافٍ للإيمان بالقدر والتسليم لله - عز وجل - وهو من الأمور المحرمة

(١) رواه مسلم ٥٦/٨ برقم (٢٦٦٤).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٦٦٢.

(٣) البخاري ٢١٥/٧ كتاب القدر.

التي حرمها الله - تبارك وتعالى - وحذر من ارتكابها كما في قوله : ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً . ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً﴾ . [النساء ، ٢٩ ، ٣٠] . فهذا الوعيد الشديد قد صدر في حق المنتحر وأمثاله ، ثم إن هذا المنتحر إنما أقدم على ذلك بحثاً عن الراحة والتخلص من العناء ، فمن قال له إنه سيجد الراحة؟ ومن قال له إنه سيتخلص من العناء؟!

١٠ - الحسد : فالحسد داء عضال ، وسم قتال لا يسلم منه إلا من سلمه الكبير المتعال ، ولهذا قيل : «لا يخلو جسد من حسد ، ولكن اللئيم يبيده ، والكريم يخفيه»^(١) .

والحسد - في الحقيقة - اعتراض على قدر الله - عز وجل - لأن الحاسد لم يسلم لقضاء الله وقدره ، فكأنه يقول : إن فلاناً أُعطي وهو لا يستحق ، وفلاناً منع وهو يستحق ، وكأنه - بحسده هذا - يقسم رحمة ربه بين العباد ، وهو بهذا العمل يقدر في حكمة الله - عز وجل - وقدره . فمن تمام الإيمان بالقدر ترك الحسد ، والتسليم لله في جميع الأمور ، فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم ، وقدر لهم ذلك ، فأعطى من شاء ومنع من شاء ابتلاءً وامتحاناً ، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله ، ولهذا قيل : «من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد ، ومن قنع بعبائه لم يَدْخُلْه حسد»^(٢) .

١١ - الذهاب للكهَّان والعُرافين والدَّجَّالين واستطلاع المستقبل عندهم ، وتصديقهم في ذلك ، فهذا مما يتعارض مع الإيمان بالقدر؛ لأن

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٠/١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) أدب الدنيا والدين للهاوردي ص ٢٦٩ .

القدر غيب، والغيب لا يعلمه إلا الله - عز وجل - .

١٢ - التآلي على الله - عز وجل - كأن يقول أحد لأحد: والله لا يغفر الله لك، وهذه المقولة قد تصدر من بعض من ينتسب للخير من قل علمه وفقهه، فتجده يحرص على دعوة عاصٍ من العصاة، فإذا رأى منه تمادياً في المعاصي وإعراضاً وصدوداً عن الخير - يأس منه وربما قال: والله لن يغفر الله لك، هكذا - بصيغة الجزم، فهذا مما ينافي بالإيمان بالقدر، فالعواقب علّمها عند الله - وحده لا شريك له -، فمن الذي أخبر هذا القائل بأن الله لن يغفر لهذا العاصي؟؛ ولهذا جاء في مسلم عن جندب أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حدث: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان فإني غفرت لفلان وأحببت عملك»^(١). ومعنى قوله يتألى: أي يحلف، والألّية بالتشديد: الحلف^(٢).

١٣ - قول بعض العامة: إن العقرب تسابق القدر والحية مأمورة: فبعض العامة يقول هذا القول، ويقولون: إذا مرت بك العقرب وأنت تصلي، أو كنت قاعداً في مكان ما فاقطع الصلاة وقم من مكانك واحترز منها، لأن العقرب لا تؤمن غائلتها، فهي تسابق القدر، بخلاف الحية فإنها مأمورة فإذا مرت بك وأنت تصلي فلا تقطع الصلاة، وإذا رأيتها وأنت جالس أو مستلقٍ فلا تتحرك ولا تحترز منها ودعها فإنها مأمورة. وهذا الكلام مردود، فقولهم: إن العقرب تسابق القدر قول باطل مخالف لما جاء

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة برقم (٢٦٢١).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٧٢٤، وفتح المجيد ص ٧٢٦ - ٧٢٧، وحاشية كتاب التوحيد

لابن قاسم ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

في الكتاب والسنة ولما تقرر بالإجماع والعقل من أنه لا يقع شيء إلا بقدر الله - عز وجل - وقد مرت الأدلة معنا قريباً، فما الذي يخرج العقرب من عموم قدر الله - عز وجل - وأخذَه بناصية كل دابة؟!

ثم إن قولهم: إن الحية مأمورة لا شك في ذلك، أما ألا نحترز منها بحجة أنها مأمورة - فهذا كلام باطل مخالف لتهام الإيمان بالقدر؛ لأن من تمامه الأخذ بالأسباب المشروعة، والتحرُّز من الحية من جملة الأسباب التي أمرنا بتعاطيها والأخذ بها.

١٤ - تمني الموت^(١):

فبعض الناس إذا أصيب ببلاء واشتد به اللؤاء - تجده يتمنى الموت؛ ليتخلص مما ألمَّ به، كما قال أحدهم:

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
وهذا خطأ، فلا يجوز للمؤمن أن يتمنى الموت لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»^(٢).

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٣/ ٣٨٢.

(٢) البخاري مع الفتح ١١/ ١٥٤ برقم (٦٣٥١).

المبحث الثاني

أول من أنكر القدر في هذه الأمة

كما مر معنا أن الإيمان بالقدر أمر فطري ، وأنه لم يكن في العرب في جاهليتها ولا في إسلامها من ينكر القدر ، وعندما دخلت كتب الفلسفة اليونانية ، والهندية إلى بلاد المسلمين ظهرت بدعة القدرية التي تعد أول شرك وقع في الإسلام ، وكان أول ظهورها في دمشق ، والبصرة ، ولم تظهر في مكة ، ولا المدينة ؛ لانتشار العلم ، وقد ظهرت في أواخر عهد صغار الصحابة كابن عباس ، وابن عمر ، - رضي الله عنهما - وتكاد مصادر أهل السنة والجماعة تجمع على أن أول من تكلم بالقدر رجل من أهل البصرة يعمل بقلاً يُقال له : «سنسويه» وبعضهم يسميه «سيسويه» وبعضهم يسميه «سوسن» ، ثم تلقفها عنه معبد الجهني ، وأخذها عن معبد غيلان الدمشقي .

قال الأوزاعي - إمام أهل الشام - : «أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق ، يقال له : «سوسن» كان نصرانياً فأسلم ، ثم تنصّر ، فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد»^(١) .

وكان معبد الجهني في البصرة ، وغيلان في دمشق ، ولم يكونا على حالة

(١) الشريعة للأجري ص ٢٤٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٧٥٠ / ٤ .

واحدة، فمعبد كان صاحب علم، لكنه وقع فيما وقع فيه المغضوب عليهم، أما غيلان فلم يكن من أهل العلم، وإنما تلقى هذه المقالة فنشرها فوقع فيما وقع فيه الضالون، وكانت الشبهة عندهم في البداية أنهم أرادوا تنزيه الله عن الشر، وعن خلق المعاصي، فوقعوا في نفي القدر، وقد أنكر الصحابة الأحياء في ذلك الوقت تلك المقالة، واشتد نكيرهم كابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، - رضي الله عنهم -^(١).

وبعد غيلان ومعبد ظهر رؤوس الاعتزال كواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، فتلقوا تلك المقالات، ونشروها، وقد أطلق العلماء على هذه الفرقة التي تنفي القدر اسم «القدرية»، وسموهم مجوس هذه الأمة، لأن المجوس - الشنوية - يقولون بالأصلين: النور، والظلمة، يقولون: إن للكون إلهين: إله النور، وهو خالق الخير، وإله الظلمة، وهو خالق الشر، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى غيره، والله هو خالق الخير والشر - كما مر معنا - فهما مضافان إلى الله خلقاً وإيجاداً، وتقديراً وإلى العباد فعلاً، واكتساباً، ومن هؤلاء من غلا ونفى علم الله - عز وجل - وكرَدَ فعلٍ للقدرية النفاة ظهر أناس غلوا في الإثبات، حيث «نشأ في آخر عهد بني أمية أقوام زعموا أن العبد مجبور على فعله، ليس له خيار فيما يأخذ أو يدع، وبعضهم يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، وأول من أظهر هذا القول الشنيع: الجهم بن صفوان، وتفرع عن هذه البدعة أقوال شنيعة، وضلال كبير»^(٢).

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة، وشرح اعتقاد أهل السنة للأصبهاني ١٥/٢ - ١٦. وانظر: شرح

أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/٦٢٥ - ٦٩٤ - ٧٣٠، وانظر: لوامع الأنوار ١/٢٩٩.

(٢) انظر: القضاء والقدر، لعمر الأشقر ص ٢٣.

المبحث الثالث

الفرق التي ضلت في باب القدر

ضل في باب القدر فرق شتى ، ومنشأ ضلالهم إنما هو نظرهم إلى النصوص بعين عوراء ، فيأخذون ما وافق أهواءهم ، ويعمون ، أو يتعمون عن غيره ، ولا نحتاج في هذا المقام إلى الرد المفصل على تلك الفرق ، ومناقشة أقوالهم ، فما مضى من مناقشة بعض الأقوال وتقريرها ، وفهم باب القدر على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة - كافٍ في الرد على تلك المقالات . ومن تلك الفرق التي ضلت في هذا الباب ما يلي :

١ . القدرية :

وهم أتباع معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي ، وأتباع واصل بن عطاء ، وعمر بن عبيد من المعتزلة ، ومن وافقهم ، هؤلاء هم القدرية ، وقولهم في القدر : إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة ، وليس لمشيئة الله تعالى ، وقدرته في ذلك أثر ، ويقولون : إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله ، وإنما العباد هم الخالقون لها ، ويقولون : إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله ، وغلاتهم ينكرون أن يكون الله قد علمها ، فيجحدون مشيئته الشاملة ، وقدرته النافذة ، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة ، لأنهم شابهوا المجوس الذين قالوا : إن للكون إلهين : إله النور : وهو خالق الخير ، وإله

الظلمة: وهو خالق الشر.

والقدرية جعلوا لله شريكاً، بل شركاء في خلقه، فزعموا أن العباد يخلقون أفعالهم، واستدلوا استدلالاً أعور ببعض الآيات، كما في قوله - تعالى -: ﴿لَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾. [التكوير، ٢٨]. وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾. [الكهف، ٢٩]. وأولوا ما عدا ذلك مما يخالف مذهبهم كما في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. [التكوير، ٢٩]. ومنشأ ضلال هؤلاء في البداية أنهم أرادوا تنزيه الله - عز وجل - عن الشر فوقعوا في نفي القدر، وقد مر معنا شيء من الرد على ذلك عند الحديث عن مرتبة الخلق والمشيئة، وعند الحديث عن خلق أفعال العباد، وعند الحديث عن أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وعند خلق الشر والحكمة منه، ويكفي في الرد عليهم قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. [الصافات، ٩٦]^(١).

٢. الجبرية:

«وهم الذين غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل - حقيقةً -، بل هو في زعمهم لا حرية له ولا فعل، كالريشة في مهب

(١) انظر المختار في أصول السنة لابن البناء ص ٨٧، والتعريفات للجرجاني ص ١٨١، وبغية المرتاد لابن تيمية ٢٦١، والصفدية ١٠٦/٢ - ١٠٩، والاستقامة ١٤٧/١ و ١٧٩ و ٤٣١، وانظر: مجموع الفتاوى ٢٥٨/٨، وشرح الواسطية للهراس ص ٢٢٩ - ٢٣٠، ورسائل في العقيدة لابن عثيمين ص ٤٠، والمعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها لعواد المعتق ص ١٥١ - ١٥٩، والمعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد، وطارق عبدالحليم ص ٥٧ - ٥٩، وانظر إلى الدرة البهية لابن سعدي ص ١٧ - ١٨، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص ٩٠.

الريح، وإنما تُسند إليه الأفعال مجازاً، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق، كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم، وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومُجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون»^(١).

وهؤلاء في الحقيقة يزعمون أن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعالهم، بخلاف ما عليه أهل السنة، الذين يقولون: إن الله هو الخالق والعبد هو الفاعل، ولذا ترتب على فعله الثواب والعقاب. وهؤلاء - الجبرية - يسمون بالقدرية المشركية، لأنهم شابهوا المشركين في قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾. [الأنعام، ١٤٨].

وكلامهم هذا ظاهر التهافت والبطلان، وقد مر الرد عليهم عند الحديث عن أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وعند الحديث عن الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

٣. القدريّة الإبلّيسية:

«الذين صدّقوا بأن الله صدر عنه الأوامر - أي أنه قدر، وأنه أمر ونهى - ولكنهم يرون أن هذا تناقض، وهؤلاء هم خصماء الله - تعالى -، وسموا «إبليسية» لأنهم أشبهوا إبليس بمقولته التي ذكرها الله عنه في القرآن، عندما قال: ﴿فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم﴾^(٢) [الأعراف، ١٦].

(١) شرح الواسطية للهراس ص ٢٣٠، وانظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٠، والنبوت لابن تيمية ص ١٦٦، وانظر: الفتاوى ٢٥٦/٨ وشرح نونية ابن القيم للهراس ٣٧٢/١، والدرر السنية ٣٥٨/١ - ٣٥٩، والمنتقى من فرائد الفوائد لابن عثيمين ١٠٢.

(٢) انظر: الفتاوى ٢٦٠/٨، والاستقامة ١٣٩/٢.

٤. غلاة الصوفية:

الذين غلوا في الجبر «من يزعمون الترقى في مقام الشهود للحقيقة الكونية، والربوبية الشاملة، فيرون كل ما يصدر من العبد من ظلم، وكفر، وفسوق هو طاعة محضة لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدره، وكل ما قضاه وقدره - فهو محبوب لديه، مرضي عنده، فإذا كان قد خالف أمر الشرع بارتكابه هذه المحظورات - فقد أطاع إرادة الله، ونفذ مشيئته، فمن أطاع الله وقضائه وقدره هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله»^(١).

«ومن ثم فلا لوم، ولا تثريب، بل الكل مطيع بفعله لإرادة ربه، فصححوا بذلك إيمان فرعون وعبدية العجل، واليهود، والنصارى، والمجوس»^(٢)، كما صرح بذلك ابن عربي الصوفي بقوله:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهباني
وبيت لأوثان وكعبة طائفٍ وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني^(٣)

وكقول عبدالكريم الجيلي، وهو من أهل وحدة الوجود:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ومالي عن حكم الحبيب تنازعُ

(١) شرح النونية للهراش (١/٣٧٢).

(٢) المعتزلة بين القديم والحديث ص ٥٨ - ٥٩.

(٣) رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي د: موسى الدويش ص ٧٤، والصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين ص ٤٧٣، ودراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص ١١٣، وانظر: كتاب نظرات في معتقد ابن عربي د: كمال عيسى ص ٤٢ - ٤٤، والشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة د: محمد بن حسين ص ١٧٢.

فطوراً تراني في المساجد راكعاً وأني طوراً في الكنائس رافع
إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً فإني في علم الحقيقة طائع^(٤)
وكما قال أحدهم:

أصبحت منفعلاً بما يختاره مني ففعلي كله طاعات
وهذا المذهب من أخبت المذاهب، ولا يُشكّ بكفر أصحابه، بل هو
من أقبح أنواع الكفر، قال شيخ الإسلام: «فإن من احتج بالقدر، وشهود
الربوبية العامة لجميع المخلوقات، ولم يفرق بين المأمور، والمحظور،
والمؤمنين، والكفار، وأهل الطاعة، وأهل المعصية - لم يؤمن بأحد من
الرسل، ولا بشيء من الكتب، وكان عنده إبليس وآدم سواء، ونوح وقومه
سواء، وفرعون وموسى سواء، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء»^(١).

٥. الفلاسفة:

الذين أنكروا «علمه تعالى بالجزئيات، وقالوا: إنه يعلم الأشياء على
وجه كلي ثابت، وحقيقة قولهم أنه لا يعلم شيئاً؛ فإن كل ما في الخارج هو
جزئي»^(٢). ويكفي في الرد عليهم قوله - تعالى -: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا
يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا
حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.
[الأنعام، ٥٩].

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل ص ٩٦.

(١) مجموع الفتاوى ١٠٠/٨.

(٢) شرح الواسطية للهراس ص ٩٤، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٣٩٧/٩، وانظر: كتاب
الصفدية لابن تيمية ١/٧ - ٨.

٦. الأشاعرة:

الذين أرادوا «أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية، فجاءوا بنظرية الكسب، وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير، أما حقيقتها النظرية الفلسفية - فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها فضلاً عن إفهامها لغيرهم، ولهذا قيل:

مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو إلى الأفهام الكسب عند الأشعري، والحال عند البهشمي وطفرة النظام^(١)

٧. الرافضة:

وذلك لقولهم بالبداء على الله - عز وجل - فهم يرون أن الله يحصل له البداء، أي الجهل والنسيان، فالله - جل جلاله - عند الرافضة يفاجأ بالأشياء لم يكن علمها أو على خلاف ما كان يعلمها^(٢).

ولقولهم إن الأئمة يعلمون ما كان، وما يكون، ولا يخفى عليهم الشيء، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيارهم، وأنهم لا يحجب عنهم علم السماء والأرض، والجنة والنار، وأنهم يعرفون الناس بحقيقة

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة، للشيخ سفر الحوالي ص ٤٣، وانظر لوامع الأنوار ١/ ٢٩١ - ٢٩٢، وانظر: الروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة ص ٤٢، وانظر: الروض الباسم لابن الوزير ٢/ ٢١، والرد الأثري المفيد على البيهقي ص ١٠٣ - ١٠٨.

(٢) انظر الشيعة والسنة للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٦٣، والرد الوافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٩٩، لإحسان إلهي ظهير وبطلان عقائد الشيعة لمحمد عبد الستار التونسي ص ٢٣، وموقف الشيعة من أهل السنة لمحمد مال الله ص ٣٣، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة د: ناصر القفاري ١/ ٣٣٤.

الإيمان، وبحقيقة النفاق، وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأسماء شيعتهم، وأسماء أعدائهم^(١). ومنهم من يقول: إن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها، ومنهم من قال: إن الله لا يعرف الجزئيات قبل وقوعها^(٢)، كل ذلك ضلال في باب القدر، الذي أول أركانه الإيمان بعلم الله - عز وجل - فهؤلاء جعلوا لله شركاء في علمه - عز وجل - فنقضوا هذا الركن من أساسه.

كيف يكون ذلك والله - عز وجل - يقول: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾. [الأنعام، ٥٩]. ويقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾. [النحل، ٦٥].

٨. من يعتقدون تأثير الكواكب والأسماء والأبراج:

كحال الذين ينظرون في النجوم والأسماء، ليستطلعوا من خلالها أسرار القدر، فتجدهم يقولون: إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو كان يحمل الاسم الفلاني فسيصيبه كذا وكذا في يوم كذا وكذا، ومما يقولون - أيضاً -: من اسمك تعرف حظك، ومن شهر ميلادك تعرف حظك^(٣)، ونحو ذلك من هذا الهذيان والتخرص والرجم بالغيب، فهذا ضلال في باب القدر؛ لأن القدر غيب والغيب لا يعلمه إلا الله - عز وجل -.

(١) انظر الخطوط العريضة لمحَب الدين الخطيب ص ٦٩، والشيعَة والسنة لظهیر ص ٦٦، ومَسْأَلَة التَقْرِيب للفقاري ٢٩٠/١، والمَوْجِز في المذاهب والأديان المعاصرة د: ناصر العقل، د: ناصر الفساري ١٢٤. والشيعَة الإمامية الاثني عشرية في ميزان الإسلام، تأليف: ربيع بن محمد السعودي ص ١٩٠ - ١٩٣.

(٢) انظر: إلى مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٨١.

(٣) انظر: على سبيل المثال إلى كتاب «حظك تعرفه من شهر ميلادك» وكتاب «حظك تعرفه من اسمك» وكل الكتابين للأفك الأثيم حميد الأرزى الذي يلقب بعميد الفلكيين العالميين.

المبحث الرابع

قصص ومحاورات مع القدرية

القدر كما قال ابن عباس: نظام التوحيد، والإيمان به كما آمن به أهل السنة والجماعة، دل عليه العقل الصريح، والنقل الصحيح، والمخالف فيه مغلوب، وحجته داحضة «ولم يستطع منطق القدرية أن يقف في مجال الحجاج مع عوام أهل السنة فضلاً عن علمائهم»^(١).

ولعل في إيراد بعض القصص والمحاورات - زيادةً إيضاحٍ وتقديرٍ لصحة مذهب السلف في القدر، فمما ذكر من تلك القصص والمحاورات ما يلي:

١ - سُرقت ناقة لأعرابي فجاء حلقة عمرو بن عبيد - وهو من رؤوس المعتزلة ومن يقول بمذهب القدرية - فقال الأعرابي لعمرو: إن ناقتي سرقت فادع الله أن يردها عليّ.

فقال عمرو: اللهم إن ناقة هذا المسكين سُرقت، ولم تُرد سرقَتها، اللهم اردها عليه، فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولم؟ قال: أخاف - كما أراد ألا تسرق فسُرقت - أن يريد ردها فلا ترد^(٢)!

(١) انظر: القضاء والقدر، د: الأشقر ص ٦٠.

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٧٣٩، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ -

٢ - دخل القاضي عبد الجبار الهمداني - أحد شيوخ المعتزلة - على صاحب بن عباد، وعنده أبو إسحاق الاسفراييني - أحد أئمة السنة - فلما رأى الأستاذ قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الأستاذ: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال القاضي: أيشاء ربنا أن يُعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟ قال القاضي: أرأيت إن منعي الهدى، وقضى عليّ بالردى أحسن إليّ أم أساء؟ قال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء، فُبُهِت القاضي عبد الجبار^(١).

٣ - هذا وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - في الدرة البهية عدداً من الأمثلة التي تكشف مسألة القضاء والقدر، ومن تلك الأمثلة: قصة الرجل الجبري، حيث قال فيها: «كان رجل قد غلا في الجبر والقدر غلواً عظيماً، فكان يعتذر بالقدر عند كل جليل وحقير، حتى آلت به الحال إلى الاستهتار، وانتهاك أصناف المعاصي، وكلما نُصِح وليم على أفعاله - جعل القدر حجة له في كل أحواله.

وكان له صاحب يعذله، وينصحه عن هذه المقالة التي تخالف العقل، والنقل، والحس، ولا يزيده العذل إلا إغراءً، وكان صاحبه ينتظر وينتهاز الفرصة في إلزامه بأمور تختص به، وتتعلق. وكان هذا الجبري صاحب ثروة، له أموال متنوعة، وقد وكل عليها الوكلاء، والعملية، فصادف في وقت متقارب - أن جاءه صاحب ماشيته، فقال: إن الماشية هلكت، وتلفت جميعها؛ لأنني رعيته في أرض مجدبة، ليس فيها عود أخضر، فقال

(١) انظر هامش شرح العقيدة الطحاوية ٢٥١، وانظر: دفع إيهام الاضطراب ٢٨٦ - ٢٨٧.

له : وعملت ذلك وأنت تعلم أن الأرض الفلانية مخصبة ، فما عذرک في ذلك ؟ فقال : قضاء الله وقدره ، وكان ممتلئاً غضباً قبل ذلك ، فزاد غضبه من هذا الكلام ، واستشاط غضبه ، وكاد يتقطع من هذا الاعتذار ، وجاءه صاحب البضائع ، فقال : إني سلكت الطريق المخوف ، فأقتطع المالَ قطعاً الطريق ، فقال له : كيف تسلك هذا الطريق المخوف - مع علمك أنه مخوف - وترک الطريق الآمن الذي لا تشك في أمنه ؟

فأجابه بمثل جواب الراعي للماشية ، وعمل معه الجبري ما عمله مع صاحبه ، ثم جاء وكيله على تربية أولاده ، وحفظهم ، فقال : إني أمرتهم أن ينزلوا في البئر الفلانية ليتعلموا السباحة فغرقوا ، فقال : لم فعلت ذلك وأنت تعلم أنهم لا يحسنون السباحة ؟ والبئر المذكورة تعلم أن ماءها غزير ؟ فكيف تركهم ينزلون وحدهم وأنت لست معهم ؟ فقال : هكذا قضاء الله وقدره .

فغضب عليه غضباً لا يشبه الغضب على الأولين ، وكاد الغضب أن يقتله ، وكل واحد من هؤلاء الذين وكلهم على ما ذكرنا يزداد غضبه عليه إذا قال له : هذا قضاء الله وقدره ، فحينئذ قال له صاحبه : يا عجباً لك يا فلان ! كيف قابلت هؤلاء المذكورين بهذا الغضب البليغ ، ولم تعذرهم حين اعتذروا بالقدر ، بل زاد هذا الاعتذار في جرمهم عندك ، وأنت مع ربك - في أحوالك المخجلة - قد سلكت مسلكهم ، وحذوت حذوهم ؟ ! فإن كان لك عذر - فهم من باب أولى أعذر وأعذر ، وإن كانت أعذارهم تشبه التهمك والاستهزاء - فكيف ترضى أن تكون مع ربك هكذا ؟ !

فانتبه الجبري حينئذ ، وصحبا بعدما كان غارقاً في غلوه ، وقال : الحمد لله الذي أنقذني مما كنت فيه ، وجعل لي موعظة وتذكيراً من هذه الوقائع التي

وقعت لي ، ولمست فيها غلطي الفاحش ، والآن : أعتقد أن ما حصل لي من
 نعمة الهداية إلى الحق ، أعظم عندي من هذه المصائب الكبيرة ، كما تحققت
 في قوله - تعالى - : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا
 شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ . [البقرة، ٢١٦] ^(١) .

(١) الدرة البهية شرح القصيدة الثائية ، في حل المشكلة القدرية ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، وانظر: إلى
 طريق المهجرتين ١٥٧ - ١٦٣ .

خاتمة البحث

وبعد هذا التطواف في مباحث القضاء والقدر - نجمل أهم ما ورد في تلك المباحث من خلال النقاط الآتية:

١ - الإيمان بالقدر من أهم مباحث العقيدة، فهو ركن من أركان الإيمان، والإيمان به تمام التوحيد، وكتب السلف الصالح في العقيدة اهتمت به، وأطنبت في ذكره.

٢ - باب القدر أعوض أبواب العقيدة، ولا يمكن أن يفهم إلا بفهم السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ولا يمكن لكل أحد أن يفهمه على وجه التفصيل.

٣ - القدر هو تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته.

٤ - الحديث عن القدر لا يمنع بإطلاق، ولا يفتح بإطلاق، بل إن الأمر فيه تفصيل، فإن كان الحديث عن القدر بالمنهج العلمي الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة، وكان الحديث عنه مراداً به الوصول إلى الحق - فإنه لا يمنع ولا يُنهى عنه، بل قد يجب، وإن كان الحديث عنه خوضاً بالباطل، واعتماداً في فهمه على العقل المجرد أو كان للاعتراض أو التنازع أو التعنت - فإنه لا يجوز البتة.

٥ - الإيمان بالقدر يثمر ثمراتٍ جلية على الأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة.

٦ - الإيمان بالقدر دل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة، والعقل، والحس.

٧ - الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تسمى : مراتب القدر وهي العلم، والكتابة، والمشئة، والخلق.

٨ - أفعال العباد داخلة في عموم خلقه - عز وجل - ولا يخرجها عن ذلك العموم شيء.

٩ - التقدير ينقسم إلى خمسة أقسام وهي :

أ - التقدير العام لجميع الكائنات.

ب - التقدير البشري : وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدّر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة.

ج - التقدير العمرى وهو تقدير كل ما يجرى على العبد من لدن نفخ الروح فيه إلى نهاية أجله.

ج - التقدير السنوي : وهو تقدير ما يجري كل سنة، وذلك ليلة القدر من كل سنة.

هـ - التقدير اليومي : وهو تقدير ما يجري كل يوم، كما قال - تعالى - : ﴿كل يوم هو في شأن﴾ . [الرحمن : ٢٩].

١٠ - الواجب على العبد في باب القدر أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويؤمن بشرع الله وأمره ونهيه، فعليه تصديق الخبر وطاعة الأمر، فإذا أحسن حمد الله - تعالى - وإذا أساء استغفر الله - تعالى - وعلم أن ذلك بقدر الله، فهذا هو الواجب على العبد، ولا يلزم كل أحد أن يعرف مباحث القدر على وجه التفصيل كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة، فهم لا يوجبون على

العاجز ما يوجبون على القادر.

١١ - الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وأن يكون له قدرة عليها، بل له مشيئة وقدرة، وهما تابعتان لمشيئة الله وقدرته.

١٢ - فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر بل إن ذلك من تمام الإيمان به.

١٣ - الاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب لا المعائب.

١٤ - الإرادة الربانية تنقسم إلى قسمين:

١ - كونية قدرية: وهي مرادفة للمشيئة ولا يخرج عن مرادها شيء أبداً ولا بد أن تقع.

٢ - شرعية دينية: وتتضمن محبة الرب ورضاه، ولا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع.

١٥ - الشر لا ينسب إلى الله - عز وجل - فهو منزّه عن الشر، ولا يفعل إلا الخير، والقدر لا شر فيه بوجه من الوجوه، فإنه علم الله، وكتابته، ومشيئته، وخلقته، وذلك خيرٌ محضٌ، فالشر إنما هو في المقضي لا في القضاء، وفي مفعولات الله لا في أفعاله - عز وجل -.

١٦ - قد يريد الله أمراً، ويشاؤه، وفي الوقت نفسه لا يحبه، لأن المراد نوعان:

١ - مراد لنفسه إرادة الغايات مثل خلق جبريل - عليه السلام -.

٢ - مراد لغيره: فهو وسيلة إلى غيره مثل خلق إبليس، فهو مكروه لله من حيث نفسه وذاته، مراد له - عز وجل - من حيث قضاؤه

وإيصاله إلى مراده، فهو سبب لحصول محابٍ كثيرةٍ، فيجتمع الأمران بُغْضُهُ له وإرادتهُ له ولا يتنافيان.

١٧ - الله - عز وجل - الحكمة البالغة في كل فعل من أفعاله وقد تظهر لنا الحكمة، وقد تخفى ولا يلزم أن ندرك حكمته - عز وجل - في كل شيء، أو أن يدرك ذلك كل أحد.

١٨ - وجوب الرضا بقضاء الله - عز وجل - فيه تفصيل؛ فإن كان ما قُضي وقُدِّر مرضياً لله محبوباً له - كالإيمان وسائر الطاعات - رضينا به، وإن كان غير مرضي لله ولا محبوب له - كالمعاصي والكفر - فلا نرضى به، فعلينا موافقة ربنا في رضاه وفي سخطه، فالدين موافقة ربنا في كراهة الكفر والفسوق والعصيان مع تركها، وموافقة في محبة الشكر والطاعة مع فعلها. أو نقول: نرضى بالقضاء الذي هو فعل الله - تعالى - وأما المقضي الذي هو فعل العبد - ففيه تفصيل؛ فإن كان مرضياً لله - رضينا به، وإن كان غير مرضي لله - لم نرض به.

١٩ - القدر قدوران أحدهما: المثلث أو المبرم؛ وهو ما في أم الكتاب، فهذا لا يتغير ولا يتبدل، والثاني: المعلق أو المقيد وهو ما في كتب الملائكة فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات.

٢٠ - لا نقول: إن الإنسان مخير أو مسير، فالسؤال في ذاته خطأ، وإنما يقال: هل للإنسان مشيئة وقدرة أم لا؟
والجواب: أن له مشيئة وقدرة، ومشيئته وقدرته واقعتان بمشيئة الله - عز وجل - تابعتان لها.

٢١ - هناك أخطاء تقع في باب القدر منها: الاحتجاج بالقدر على المعائب، وقول بعض الناس: إن الله على ما يشاء قدير، والأولى أن يقال:

على كل شيء قدير، ومنها: الاعتراض على أقدار الله، وشق الجيوب، ولطم الحدود عند المصيبة، وقول «لو» و«ليت» عند المصيبة، وكذلك: الدعاء بـ «اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف بي»، كذلك تمنى الموت، والانتحار، والحسد، والذهاب للكهان والعرافين، وكذلك التألي على الله - عز وجل - وقول بعض العامة: «إن العقرب تسابق القدر».

٢٢ - إنكار القدر لم يكن معروفاً عند العرب لا في جاهليتها ولا في إسلامها، وإنما أتاهم من المجوس، ولذا سمي القدرية مجوس هذه الأمة.

٢٣ - أول من قال بالقدر في هذه الأمة رجل يقال له: سوسن أو سيسويه أو سنسويه، وكان نصرانياً فأسلم ثم تنصّر، وأخذ عنه هذه البدعة مَعْبُدُ الجهني، وأخذها عن معبدٍ غيلانُ الدمشقي، ثم تلقفها بعد ذلك رؤوس الاعتزال ونشروها.

٢٤ - ظهرت هذه البدعة أول ما ظهرت في عهد صغار الصحابة كابن عباس، وابن عمر، وجابر - رضي الله عنهم - وقد اشتد نكيرهم على هذه البدعة وأعلنوا براءتهم منها.

٢٥ - ضل في باب القدر فرقٌ عديدة منها: القدرية الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله - تعالى - وقدرته أثر، ويقولون: إن أفعال العباد غير مخلوقة لله - عز وجل - ومنهم من غلا فأنكر علم الله - عز وجل - بها.

ومن الفرق التي ضلت في هذا الباب: الجبرية الذين غلوا في الإثبات، وأنكروا أن يكون للعبد فعلٌ وقدرةٌ وإرادة.

ومنها غلاة الصوفية: الذين غلوا في الجبر ممن يزعم الترقى في مقام الشهود للحقيقة الكونية، والربوبية الشاملة فيرون أن كل ما يصدر عن

العبد من كفر أو ظلم أو معصية - إنما هو طاعة لله - عز وجل -؛ لأنها إنما تجري وَفْقَ إرادته، فلم يفرقوا بين إرادته الشرعية وإرادته الكونية. ومنها الأشاعرة الذين أرادوا أن يوفقوا بين القدرية والجبرية فجاءوا بنظرية الكسب، التي هي جبرية خالصة. ومنها: الفلاسفة الذين أنكروا علم الله - تعالى - بالجزئيات، ومنها: الرافضة وقولهم بالبداء على الله - عز وجل - وزعمهم أن أثمتهم يعلمون الغيب. ومن ضل في هذا من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء.

٢٦ - ورد في هذا البحث ذكر بعض المحاورات والقصص مع القدرية، يتبين من خلالها صحة مذهب السلف في هذا الباب. هذا ملخص ما ورد في هذا البحث، وفي الختام أسأل الله - تبارك وتعالى - أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه؛ إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير. والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المصادر والمراجع

«أ»

- ١ - الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ٢ - الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
- ٣ - الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري، تحقيق ودراسة رضا بن نعيان معطي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٤ - الاحتجاج بالقدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، نشره قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.
- ٥ - الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة، قدم له، وعلق عليه، وخرَّج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٦ - أدب الدنيا والدين، للماوردي، تحقيق د: محمد الصباح، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٧م.
- ٧ - الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق د: محمد رشاد سالم، توزيع مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٨ - أصول أهل السنة والجماعة، المسماة برسالة الثغر، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتور محمد السيد الجلنيد، دار اللواء للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٩ - الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة، للبيهقي، السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع.

١٠ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، أو ٢٠٠ سؤال في العقيدة الإسلامية، تأليف الشيخ: حافظ الحكمي، خرّج أحاديثه وعلّق عليه مصطفى أبو النصر الشلبي، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ، مكتبة السوادني جدة.

١١ - إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

١٢ - إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه، للسيوطي، تحقيق عبد الحميد شانوحة، الناشر: مكتبة دار الوفا للنشر والتوزيع جدة.

١٣ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق د: ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٤ - الإيمان: أركانه - حقيقته - نواقضه د: محمد نعيم ياسين.

١٥ - الإيمان بالقضاء والقدر، وأثره على القلق النفسي، طريفة بنت سعود الشويعر، دار البيان العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ.

«ب»

١٦ - بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض الحديثة.

١٧ - بطلان عقائد الشيعة، لمحمد عبدالستار التونسي، المكتبة

الإمدادية، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ.

١٨ - بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د: موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

«ت»

١٩ - تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٠ - تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره أحمد صقر، المكتبة العلمية بيروت.

٢١ - التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، تحقيق محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٢ - تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

٢٣ - التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، فالح بن مهدي آل مهدي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٤ - التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية، تحقيق محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٥ - التعريفات، للجرجاني، مكتبة لبنان ١٩٩٠م.

٢٦ - التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- ٢٧ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٨ - التفسير القيم، لابن القيم، دار الفكر، تحقيق محمد حامد الفقي ١٤٠٨هـ.
- ٢٩ - تقريب التدمرية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٣٠ - التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيعة، للعلامة عبدالرحمن بن سعدي، مع تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، تخرّيج الشيخ علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار ابن القيم.
- ٣١ - تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، للإمام الشوكاني، علق عليها وخرّجها: مشهور بن حسن سلمان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن حزم، بيروت.
- ٣٢ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لأحمد ابن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٣٣ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان ابن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الثامنة ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي.
- ٣٤ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، مكتبة الأقصى عنيزة.

«ج»

٣٥ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

٣٦ - جامع الرسائل، لابن تيمية، د: محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٧ - الجامع الصحيح في القدر، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٣٨ - جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٩ - جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، لأبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي، تحقيق د: صلاح جرار، دار البشير ١٤١٠هـ.

«ح»

٤٠ - حاشية كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن قاسم، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٤١ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء: الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة د: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض.

٤٢ - الحسنه والسيئة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٣ - حظك تعرفه من اسمك، حميد الأرزى، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨٨م.

٤٤ - حظك تعرفه من شهر ميلادك، حميد الأرزى، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨٨م.

٤٥ - الحكمة والتعليل في أفعال الله، تأليف: د: محمد بن ربيع المدخلي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع دمنهور.

٤٦ - حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية بيروت.

«خ»

٤٧ - الخطوط العريضة، لمحب الدين الخطيب، تقديم وتعليق الشيخ محمد مال الله، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٤٨ - خلاصة معتقد أهل السنة، تأليف الشيخ عبدالله بن سليمان المشعلي، تحقيق الشيخ عبدالله بن جارالله الجارالله، وخرج أحاديثه: محمد بن صالح الدحيم، مكتبة ابن خزيمة الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.

٤٩ - خلق أفعال العباد أو الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للإمام البخاري، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة بيروت.

«د»

٥٠ - درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق د: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥١ - دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- ٥٢ - الدرة البهية شرح القصيدة الثائية في حل المشكلة القدريّة، لابن تيمية، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٦هـ.
- ٥٣ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٥٤ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٥٥ - دع القلق، وابدأ الحياة، ديل كارنيجي، تعريب عبدالمنعم محمد الزيايدي، ١٩٨٠م، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- ٥٦ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مطابع الرياض، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ.
- ٥٧ - الدين الخالص، تأليف السيد محمد صديق حسن، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- ٥٨ - ديوان الإمام الشافعي، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، الطبعة الخامسة.
- ٥٩ - ديوان الإمام علي، جمعه وضبطه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦٠ - ديوان عنتره، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ.
- ٦١ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر بيروت.
- ٦٢ - ديوان المتنبي بشرح العكبري، ضبطه وصححه عبدالحفيظ شلبي، ومصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

«ر»

- ٦٣ - الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد، عمر ابن محمد أبو عمر، دار الكتب الأثرية للتحقيق والنشر، ودار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٦٤ - الرد الوافي على مغالطات د: علي عبدالواحد وافي، في كتابه بين الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة، باكستان.
- ٦٥ - رسائل في العقيدة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٦٦ - رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، جمع وتحقيق د: موسى ابن سليمان الدويش، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٦٧ - الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، للإمام محمد ابن إبراهيم الوزير اليماني، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣هـ.
- ٦٨ - الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة، حققه د: عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٦٩ - الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد بن فياض، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة.
- ٧٠ - الرياض الناضرة، والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، مؤسسة قرطبة، صححه واعتنى به وعلق عليه: أشرف بن عبدالمقصود ابن عبدالرحيم.

«ز»

٧١ - زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي،
الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

«س»

٧٢ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني،
الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

٧٣ - سنن ابن ماجه، دار الدعوة، دار سحنون، ترقيم محمد عبد الباقي،
الطبعة الثانية.

٧٤ - سنن أبي داود دار الدعوة، دار سحنون، الطبعة الثانية.

٧٥ - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية،
د: عبد الكريم زيدان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة.

٧٦ - سنن الترمذي دار الدعوة، دار سحنون، الطبعة الثانية.

٧٧ - السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى
١٤٠٠هـ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٧٨ - سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه مالك بن أنس وأصحابه، تأليف
أبي محمد عبدالله بن عبد الحكم، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد
عبيد، ط ٦، ١٤٠٤هـ، عالم الكتب.

«ش»

٧٩ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: د.

أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.

٨٠ - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، المكتبة الثقافية، بيروت، الطبعة
الأولى ١٩٦٨م.

- ٨١ - شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ.
- ٨٢ - شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف الشيخ محمد خليل الهراس، ضبط نصه وخرج أحاديثه: علوي السقاف، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الثقبه.
- ٨٣ - شرح القصائد المشهورات، لابن النحاس، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٨٤ - شرح القصيدة النونية، لابن القيم، لمحمد خليل هراس، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- ٨٥ - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالله بن محمد الغنيان، مكتبة لينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٨٦ - شرح المعلقات العشر، للزوزني، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣م.
- ٨٧ - الشريعة، للأجري، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٨٨ - الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، د: محمد ابن سعد بن حسين، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٨٩ - شعر لبید بن ربیعۃ بین جاهلیتہ وإسلامہ، د: زکریا عبدالرحمن صیام، مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٣٩٦هـ.
- ٩٠ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم

- الجوزية، تحرير الحساني حسن عبدالله، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- ٩١ - الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق نجم عبدالرحمن خلف، دار الفرقان، دار الرسالة، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- ٩٢ - شيخ الإسلام أحمد تقي الدين ابن تيمية جهاده - دعوته - عقيدته، تأليف الشيخ أحمد القطان ومحمد الزين، مراجعة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، مكتبة السندس، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- ٩٣ - الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، د: عبدالرزاق العباد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، مكتبة الرشد.
- ٩٤ - الشيعة الإمامية الإثني عشرية في ميزان الإسلام، تأليف: ربيع بن محمد السعودي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- ٩٥ - الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ.

«ص»

- ٩٦ - صحيح البخاري، للإمام البخاري، دار سحنون، دار الدعوة، الطبعة الثانية.
- ٩٧ - صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٩٨ - صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٩٩ - صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الفكر.

- ١٠٠ - صحيح مسلم للإمام مسلم، من منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، وطبعة دار الدعوة ودار سحنون، بترقيم عبد الباقي .
- ١٠١ - الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .
- ١٠٢ - صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، الناشر مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ .

«ط»

- ١٠٣ - طريق المهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، ضبط نصه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

«ع»

- ١٠٤ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨هـ .
- ١٠٥ - العقيدة الواسطية، شرح الشيخ د: صالح الفوزان، الطبعة الخامسة ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ١٠٦ - العقيدة الواسطية، علق حواشيها وأشرف على تصحيحها الشيخ محمد بن مانع، طبع بمطابع الإشعاع بالرياض .
- ١٠٧ - العلمانية، للشيخ د. سفر الحوالي، الدار السلفية ١٤٠٨هـ .
- ١٠٨ - عنوان المجد في تاريخ نجد، للعلامة عثمان بن بشر، مكتبة الرياض الحديثة .

«ف»

- ١٠٩ - الفتاوى التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من فتاوى ابن تيمية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق السيد بن عبد المقصود الأثري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار عالم الكتب.
- ١١٠ - الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ١١١ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٢هـ.
- ١١٢ - فتاوى محمد بن إبراهيم، جمع وترتيب الشيخ محمد بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ.
- ١١٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ١١٤ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تعليق الشيخ ابن باز، مؤسسة قرطبة.
- ١١٥ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.
- ١١٦ - الفوائد، لابن القيم، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ١١٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

«ق»

- ١١٨ - القاضي أبويعلی وكتابه مسائل الإيمان، دراسة وتحقيقاً، حققه سعود بن عبدالعزيز الخلف، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى ١٤١٠هـ.
- ١١٩ - القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- ١٢٠ - القضاء والقدر، أسعد محمد سعيد الصاغرجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية ١٤١٢هـ.
- ١٢١ - القضاء والقدر، د: عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ١٢٢ - القضاء والقدر في الإسلام، د: فاروق أحمد الدسوقي، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة الخاني، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، الرياض.
- ١٢٣ - القضاء والقدر، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة أسام، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٢٤ - القضاء والقدر، للشيخ محمد متولي الشعراوي، دار الندوة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ١٢٥ - القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

«ك»

- ١٢٦ - كتاب الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د: محمد رشاد

سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

«ل»

- ١٢٧ - لسان العرب لابن منظور الأفريقي، دار الفكر.
- ١٢٨ - لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة، شرح الشيخ محمد بن عثيمين، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، مكتبة الإمام البخاري، الدار السلفية، حققه وخرج أحاديثه أشرف ابن عبدالمقصود بن عبد الرحيم.
- ١٢٩ - لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة، خرج أحاديثها وعلق عليها بدر بن عبدالله البدر، الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ١٣٠ - لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، تأليف العلامة محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة أسامة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

«م»

- ١٣١ - مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، عدد ٣٤ لعام ١٤١٣هـ.
- ١٣٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٣٣ - مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي، للشيخ محمد بن صالح العثيمين من عام ١٤٠٧هـ إلى عام ١٤١٠هـ، دار اليقين للنشر

- والتوزيع، المنصورة، توزيع دار طيبة الرياض.
- ١٣٤ - المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة ١٤١١هـ.
- ١٣٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن ابن قاسم وابنه محمد.
- ١٣٦ - المختار في أصول السنة، تأليف أبي الحسن أحمد البنا الحنبلي، تحقيق د: عبدالرزاق العباد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ١٣٧ - مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبدالعزيز السلطان، الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ.
- ١٣٨ - مختصر التحفة الاثني عشرية، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٤هـ.
- ١٣٩ - مختصر صحيح مسلم للمنذري، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، منشورات لجنة إحياء السنة، أسبوط.
- ١٤٠ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق وتعليق المعتصم بالله البغدادى، توزيع دار النفائس، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ١٤١ - المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة عبدالإله الأحمدى، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٩٩١م - ١٤١٢هـ.
- ١٤٢ - مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د: ناصر القفاري، دار

- طبية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ١٤٣ - مسألة القضاء والقدر، تأليف: عبدالحليم قنيس وخالد العك، دار الكتاب العربي، حلب، دمشق.
- ١٤٤ - المستدرك على الصحيحين للحاكم، الناشر مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
- ١٤٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة، دار سحنون، الطبعة الثانية.
- ١٤٦ - المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية.
- ١٤٧ - معارج القبول لشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ الحكمي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ١٤٨ - المعتزلة بين القديم والحديث، محمد العبد، طارق عبدالحكيم، دار الأرقم، برمنجهام، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ١٤٩ - المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، د: عواد ابن عبد الله المعتق، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ١٥٠ - معجم الطبراني الكبير، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ١٥١ - معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، بتحقيق وضبط عبدالسلام هارون، طبعة دار الجليل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٥٢ - معجم المناهي اللفظية، للشيخ د: بكر بن عبدالله أبوزيد، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

١٥٣ - المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٥٤ - مفتاح دار السعادة لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٥ - المنتقى من فرائد الفوائد لابن عثيمين، دار الوطن ١٤١١ هـ، الطبعة الأولى.

١٥٦ - منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق د: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

١٥٧ - منهج الأشاعرة في العقيدة للشيخ د: سفر الحوالي. الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

١٥٨ - منهج القرآن في القضاء والقدر، محمود غريب، مكتبة الثقافة الإسلامية، المكتبة السلفية، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ.

١٥٩ - الموجز في المذاهب والأديان المعاصرة، د: ناصر العقل، د: ناصر القفاري، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

١٦٠ - الموطأ للإمام مالك بن أنس، محمد عبد الباقي، دار الحديث.

١٦١ - موقف الشيعة من أهل السنة، لمحمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ.

«ن»

١٦٢ - النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

١٦٣ - نظرات في معتقد ابن عربي، د: كمال محمد عيسى، دار المجتمع

للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

١٦٤ - النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزواوي
ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

«هـ»

١٦٥ - هذه هي الصوفية، تأليف: عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب
العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول	١٣
المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر والعلاقة بينهما	١٥
المبحث الثاني: مسألة	١٨
المبحث الثالث: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر	٢٤
المبحث الرابع: أدلته	٣٥
الفصل الثاني	٤١
المبحث الأول: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في	
باب القدر	٤٣
المبحث الثاني: مراتب القدر، أو أركانه:	٤٥
المرتبة الأولى: العلم، المرتبة الثانية: الكتابة،	
المرتبة الثالثة: المشيئة، المرتبة الرابعة: الخلق	٤٩ - ٤٦
المبحث الثالث: خلق أفعال العباد	٥١
المبحث الرابع: أقسام التقدير: ١ - التقدير العام، ٢ - التقدير	
البشري، ٣ - التقدير العمري، ٤ - التقدير السنوي،	
٥ - التقدير اليومي	٥٥ - ٥٣
المبحث الخامس: ما الواجب على العبد في باب القدر؟	٥٦
الفصل الثالث:	٥٩
المبحث الأول: هل الإيمان بالقدر ينافي أن يكون للعبد مشيئة	
في أفعاله الاختيارية؟	٦١

- المبحث الثاني: هل فعل الأسباب ينافي الإيمان
بالقضاء والقدر؟ ٦٣
- المبحث الثالث: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي،
أو ترك الواجبات ٦٧
- متى يسوغ الاحتجاج بالقدر؟ ٧٠
- المبحث الرابع: الإرادة الربانية: قسماها، الفرق
بين الإرادتين ٧٣
- نماذج لأمر شرعية وكونية ٧٥
- الفصل الرابع: إشكالات ودفعها ٧٩
- المبحث الأول: الإشكال الأول: هل ينسب الشر
إلى الله؟ ٨١
- المبحث الثاني: الإشكال الثاني: كيف يريد الله
أمراً ولا يحبه؟ ٨٥
- خلق إبليس والحكمة من ذلك ٨٦
- خلق المصائب والآلام والحكمة من ذلك ٨٨
- المبحث الثالث: الإشكال الثالث: هل يجب الرضا بكل
ما قدره الله؟ ٩٠
- المبحث الرابع: الإشكال الرابع: القدر المثلث والقدر المعلق
أو المحو والإثبات، زيادة العمر ونقصانه ٩٣
- المبحث الخامس: الإشكال الخامس: هل الإنسان
مسيء أم مخير؟ ٩٦

٩٩ الفصل الخامس

المبحث الأول: أخطاء في باب القدر: ١ - الاحتجاج بالقدر على

المعائب. ٢ - قول بعض الناس: إن الله على ما يشاء قدير.

٣ - قول بعض الناس إذا سمع بوفاة أحد هل توفي بسبب أم توفي

قضاءً وقدرًا؟ ٤ - الاعتراض على الأقدار. ٥ - شق الجيوب ولطم

الخدود عند المصيبة. ٦ - قول كلمة «لو» عندما تحمل المصيبة.

٧ - قول كلمة «ليت» كذلك. ٨ - الدعاء بـ «اللهم إني

لا أسألك رد القضاء، ولكنني أسألك اللطف بي». ٩ - الانتحار.

١٠ - الحسد. ١١ - الذهاب للكهان والعرافين والدجالين.

١٢ - التألي على الله - عز وجل -. ١٣ - قول بعض الناس:

إن العقرب تسابق القدر، والحية مأمورة.

١٤ - تمني الموت ١٠١ - ١٠٦

المبحث الثاني: أول من أنكر القدر في هذه الأمة ١٠٧

المبحث الثالث: الفرق التي ضلت في باب القدر، ١ - القدريّة.

٢ - الجبرية. ٣ - القدريّة الإبليسية. ٤ - غلاة الصوفية

٥ - الفلاسفة. ٦ - الأشاعرة. ٧ - الرافضة.

٨ - من يعتقدون تأثير الكواكب والأسماء والأبراج ١٠٩ - ١١٥

المبحث الرابع: قصص ومحاورات مع القدريّة،

١ - قصة الأعرابي مع عمرو بن عبيد ١١٦

٢ - قصة القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي مع

الاسفراييني. ٣ - قصة الرجل الجبري ١١٧

١٢١	خاتمة البحث
١٢٧	فهرس المصادر والمراجع
١٤٧	المحتويات